البُعد الرابع

م/ ضياء الدين

على هذا الكرسي على ذلك المكتب في تلك الغرفة . الغرفة التي زُينت جميع جوانبها بأرفف من الكتب . العديد والعديد منها . هنا غرفة مكتب أبي. المكان الذي كان يقضي فيه معظم اوقاته . لطالما بغضت هذه الغرفة .بدلا من ان يجلس أبي معي أو مع احد اخوتي . كان يقضي وقته هنا بين كتبه وكتاباته واساطيره . كانت لأبي هوايات عديدة ومختلفة عن بعضها .لكن كان دائما العامل المشترك بينها هو كونها فريدة من نوعها . فتارة السفر وتارة التحقيق في الجرائم .وأخرى ما انا بصدد ان احكي عنه . ابي كان دائما ما يبحث عن ما كان يسميه بالبعد الرابع . كان دائما ما يقول لي .(اننا نعتقد اننا نعيش في عالم ثلاثي الابعاد لكن هذا خاطئ . اعيننا وعقلنا لا يمكنها انت تستوعب كل شئ .هناك بُعد رابع لا نسطيع ان نراه ولا نستطيع ان نرا من هم يعيشون فيه لكنهم يروننا يسمعوننا . يضحكون على ضعفنا ويسخرون من محدوديتنا .بُعد يعيش فيه مخلوقات بقدرات خارقة لا نستوعبها . لكن بعض الناس تكون لديهم هبة عقلية تجعلهم يتفاعلون مع ذلك البُعد يتواصلون مع سكانه . وبعض سكان ذلك البُعد هم من يتواصلون معنا .يمكن بسبب ضجرهم من حياتهم . او عشقهم لاحدنا . او حتى ليتسلى ويتلذذ بضعفنا). كان أبي مهووسا بأن يجمع معلومات عن

هؤلاء الاشخاص. يجمع قصصهم . ويحقق بها ليتوصل لحل لتلك الالغاز . بعض من هذه الحكايات قد يكون بالفعل هو تواصل بين ذلك البُعد وبعضا منها قد يكون مجرد قصص لها تفسير علمي . بعد وفاة ابي قررت ان ادخل لتلك الغرفة لارى ما كان ابي يضيع وقته فيه . وقعت في يدي كتيبات بها العديد والعديد من حكايات لأناس عاشوا لحظات مخيفة مع كيانات او تجارب او حتى اشخاص لا يعلمون عنهم شئ . قرأت بعضا منهم .مجرد البعض منهم. وقررت ان تلك القصص يجب ان يقرأها الجميع . يجب ان اكشف لهم ما اهدر أبي حياته به. لذا جمعت قصتين مما في مكتبة ابي لاعرضهم عليكم. لأكشف قصصهم لكم . والان اترككم مع تلك الوثائقيات التي كتبها اصحابها بنفسهم . كتبوها ليوثقوا ذلك الحدث الذي ألقوا فيه نظرة على البُعد الرابع

صديق

عائلة

النحال

لست من محبي كتابة المذكرات لكن هناك سببين لما سأفعله الان . الاول اني قرأت في احدى المرات ان تلك طريقة جيدة لتتقبل حياتك . لان عندما تتذكر ما حدث في يومك وتراجعه وتتذكر معظم التفاصيل التي حدثت. تتذكر ان هناك كثير من الامور الجيدة . والثاني هو الفراغ. فالحياة بمفردك مملة .ليس هناك من يتبادل معك اطراف الحديث او حتى يتشاجر معك . تلك هي حياتي منذ فترة لا تتعدى الشهر . فبعد ان انفصلت انا وزوجتي دعاء منذ اسبوع ومن قبلها منذ ان بدأت المشاكل بيننا .لم استطع اني اعيش بمفردي في شقة كنت اعتاد على وجود دعاء وابني الصغير خالد فيها.وكذلك لم ارد ان اعود لاعيش مع ابي وامي مرة اخرى. اشعر ان ذلك كانت لتكون خطوة للوراء. لذا قررت ان اعيش في شقتنا القديمة التي تركناها قبل 15 عاما في احد الاحياء .المكان الذي عشت به طفولتي قد يكون هو من يعالجني مما امر به .لأنعم ببعض السلام النفسي .كما ان كتابة المذكرات ستكون طريقة جيدة لتمضية بعض الوقت من يومي على الاقل سأمضي ساعة او اكثر في تذكر احداث يومي وكتابتها

لذا فلأجرب.

فلاعرفكم بنفسي اولا. اسمي هو : احمد عامر / 31 عام

احداث يوم : 22 فبراير 2004

اكتب هذا في الساعة ال 11:05 مساءا

الاستيقاظ . ليس افضل احداث اليوم لانه ما يبدأها.استيقظ في الساعة 7 ص .عملي كمحاسب في البنك الاهلي يطلب مني الاستيقاظ قبل موعد العمل بساعة ونصف .كالمعتاد ارتديت بدلتي بعد ان استحممت وهبط من الطابق الثالث حيث اقطن .الى سيارتي واستقليتها الى العمل .كان هذا يومي الاول في العمل بعد الاجازة التي حصلت عليها قبل شهر ولذا كل من كان بالعمل من المدير لعامل البوفيه رحبوا بعودتي مرة اخرى .كان شعور جميل .لم يكن شعور حب او شعور فرح .بل كان شعور امتنان لهم .حتى انقلب ذلك الشعور الى شعور حزن بعدما اتى احدهم ووجه لي كلمات العزاء من " البقاء لله .والله انا معرفتش اجي العزاء كان عندي ظرف قهري . ربنا يرزقك الصبر ويجمعك بيه في الجنة "

خيم علي وقتها الحزن الذي لم يفارقني منذ وفاة خالد . كأن احبالي الصوتية قد قطعت واحدا تلو الاخر . شعور خانق في قصبتي الهوائية .حاولت ان اردف اي

شئ ارد به على العزاء .فخرجت "شكرا" مبحوحة. جلست بعدها لاتذكر من لم يفارق ذهني .من لم يغب ولو لدقيقة .من تحولت حياتي من بعده لظلام دامس .خالد الذي فارق حضني وحضن والدته .وفاته قد غرزت وتد خشبي في علاقتي بدعاء. فبعدها لما نعد نتحمل الحياة معا .لذلك كان الطلاق هو الحل الذي يريح جميع الاطراف . لنعد لاحداث يومي .لم يكن هناك اي شئ جديد في العمل. انتهي يومي هناك بحلول الساعة الرابعة عصرا . باقي يومي لم يكن به ما يستحق التدوين عدت لاشاهد التلفاز واقرا بعض الكتب .حقا لا يوجد شئ يستحق ان يدون او ان اتذكره .اهكذا امست حياتي .لا شغف ولا شئ لافعله .لاشئ لاحيا من اجله

اعتقد ان ما كتبته كان كافيا لليوم فالساعة الان 11:30 سأذهب لانام وربما لن اعود لاكتب المزيد من يومياتي .

احداث يوم : 24 فبراير 2004

اكتب هذا في الساعة 11:45 مساءا

لم ادون شيئا بالامس ولم اكن انوي ان ادون اليوم.فأمس كسابقه واليوم سيكون كلاحقه. لكن لاول مرة منذ اسبوع حيث اتيت هنا احدهم طرق بابي . حدث فريد كهذا اعتقد يستحق ان يسجل في التاريخ . وهذا سيكون التاريخ الخاص بي لذا هيا بنا. كان ذلك تقريبا قبل حوالي 15 دقيقة حيث كنت استعد للنوم .أوصدت بابي ووضعت المفتاح اسفل الوسادة واغلقت عيني .لكن بدلا من النوم احدهم طرق على الباب .شعرت بالدهشة .من الذي يطرق بابي في هذا الوقت المتاخر بل من الذي يطرقه من الاساس. توقعت انه قد تكون امي او ابي قد اتيا لزيارتي ليقنعاني بالعودة. لكن في هذا الوقت المتأخر! اقتربت من الباب واردفت من خلفه . "مين" لكن لم ينطق من بالخارج فكررتها مرة اخرى " ميين " ليرد علي صوت ملائكي صغير

="انا سامر .ازيك يا عمو" كان يبدوا من صوته انه بعمر الثامنة تقريبا

-"اهلا ياحبيبي خير"

= " هو انت الساكن الجديد الي هتسكن الشقة دي"

-"اه ياحبيبي انا " ابتسمت وانا اقولها .فهذه شقتنا منذ زمن

= "طيب .انا بس كنت عايز اسلم عليك "

-"اه .طب استنا انا هجيب المفاتيح وافتحلك "

= "لا لا متفتحش . انا همشي دلوقتي هبقى اهدي عليك بعدين "

-"طب انت مين طيب يا حبيبي"

لكنه لم يرد فكان قد رحل . يبدوا ان اطفال هذه البناية مشاغبين لكن في نفس الوقت لطفاء .لا اعلم ان كنت تفهم قصدي. فهناك اطفال رغم كونهم مشاغبين الا انك تتقبل هذه منهم لمجرد رؤية اعينهم الواسعة .او شعرهم الناعم . او خدودهم الممتلئة او كما في حالتي سماع صوتهم العذب . ما حدث هذا قد بث في قلبي بعض السعادة. ذلك الولد قد ذكرني بخالد . الذي كان بنفس سنه تقريبا . سانتظر عودة سامر مرة اخرى بالتأكيد .لأرحب به .سأكتفي بهذا الان لاستعد للنوم رغم اني لا اعلم كيف سيزورونى النوم الان . مع هذا الحدث الجميل المتاخر. لكن يتوجب علي ان احاول فغدا يوم عمل .

احداث يوم : 25 فبراير 2004

اكتب هذا في الساعة 11:55 مساءا

أشعر بشئ من الريبة. يراودني شعور غريب .لا اعلم هل هذا قلق ام خوف .لا ذلك الشعور لا يرتقي للخوف .قد يكون فضول يشوبه التوتر .السبب؟ لقد طرق بابي مجددا عن طريق نفس الولد .سامر . كان ذلك منذ 20 او 15 دقيقة .كنت قد اغلقت بابي للاستعداد للنوم كالعادة .مع سماعي للطرق اقتربت من خلف الباب لاسأل- " ميين" ليرد علي بنفس طبقة الصوت ="انا سامر"

ارتسمت ابتسامة على وجههي –"طب ثانية هجيب المفتاح وافتحلك"

ليصيح بصوت مرتفع وبنبرة زعر ="لا لا اوعى تفتح"

هنا بدأ شهور التوتر يتسلل لقلبي واقتربت بحذر مضاعف من الباب ووضعت اذني على الباب لاسمعه بتمعن

-"انت ابن مين ياحبيبي .وايه الي مصحيك لدلوقتي معندكش مدرسة "

="انا ابن سيد النحال قاعدين في الشقة الي فوقك .والمدرسة مبرحهاش قلت لبابا يوديني بس قالي ان انا لسه مش جاهز "

-"مش جاهز ليه؟ اعتقد انك كبير كفاية علشان تروح المدرسة "

= "مش عارف .(ساد الصمت لثواني قبل ان يقول) انا عايز العب معاك "

عدت ارسم الابتسامة مرة اخرى على وجهي –" طب هنلعب ازاي واحنا قافلين الباب؟ "

=" لا متفتحهوش لا "

-"هو في ايه ياحبيبي؟"

="انا لازم اطلع الشقة دلوقتي وهعدي عليك بكرة "

بعدها سمعت خطوات قدمه تصعد السلم مسرعا . ناديت عليه لكن خطواته كانت اسرع من صوتي"

بعد ان كتبت هذه الكلمات. اشعر ان الامر لم يكن مريبا .لكن لماذا لا يريدني ان افتح الباب هناك عدة اسئلة تراودني.

احداث يوم : 26 فبراير 2004

اكتب هذا في اول ساعات يوم 27 فبراير . 12:10 صباحا

يومي في العمل لا يستحق ان ادون عنه شئ .اعتقد اننا تجاوزنا هذه النقطة .لذا سابتدي من حيث الاحداث المهمة .وانا عائد من العمل قررت ان اخذ خطوة في معرفة من هو سيد النحال .ومن سيعرفه اكثر من صاحب كشك البضائع بجوار بوابة المنزل مباشرة والذي يراقب كل شاردة وواردة على المنزل وباقي منازل المنطقة .لذا توقفت عنده واشتريت علبة سجائر ورغم وجودي هنا منذ اسبوع تقريبا الا انه كان يعرف اسمي ويعرف من اكون .يبدوا انه موهوب في التلصص والمراقبة وهو ما اريده منه .لم ارد ان الفت انتابهه لشئ لذا سألته بطرقة غير مباشرة

-"بقولك صحيح متعرفش مين الي ساكن في الشقة الي فوقي اصل امبارح كنت سامع دوشة من فوق"

=" اه طبعا عارف ياباشا .الي فوقك يبقى استاذ سيد النحال راجل عسل ميتخيرش عن سعادتك ."

-"وده عنده اطفال اصل اكيد الخبط ده كان زي ما يكون لعب اطفال "

="اه عنده ابنه الصغير سامر .هو بياخد باله منه من بعد ما مراته اتوفت وهي بتولده .

-اه بس بيتهيألي عمري ما شفت حد منهم

=اصله بينزل الصبح يروح شغله ويرجع من الشغل للبيت على طول. حتى ابنه هومبيحبش ينزله الشارع انا متذكرش اني شفته بيلعب في الشارع او حتى شفته معاه "

-"بيشتغل ايه بقى سيد النحال ده ؟"

="عنده محل قطع غيار قريب من هنا بيرجع البيت الساعة 9 تقريبا "

لما ارد ان اطيل معه في الكلام حتى لا اثير شك شخص مثل هذا لذا شكرته وصعدت الى شقتي.

انتظرت مرور الوقت بفارغ الصبر حتى وصلت الساعة التاسعة والنصف وبعدها صعدت مباشرا الى الشقة التي في الطابق الموالي وبدأت في طرق الباب مرة تلو

الاخرة بلا جدوة لم يرد احد على .لذا هبط مرة اخرى الى شقتي انتظر قدوم سامر

الوقت كان يمر ببطئ في انتظاره ارد ان اعرف من هو اكثر واكثر لكن هل سيأتي فعلا وبينما انتظر قطع انتظاري طرق الباب يبدوا انه قد اتى مبكرا اليوم فالساعة لم تصل للحادية عشر

-"مين ؟ سامر؟"

=" اه انا يا عمو . صحيح انا معرفتش اسمك ايه ؟"

-"احمد . احمد عامر .هو انا ينفع افتح الباب"

= "لا مينفعش" -" ليه" لكنه لم يرد فلحقت سؤالي بسؤال اخر

-"هو ابوك فوق دلوقتي"

= " اه بس نايم ومن شوية كدة حد خبط عليا بس بابا كان لسه برة "

-"اه ده كان انا الي بيخبط .مفتحتش ليه؟"

= "مينفعش افتح الباب وبابا مش موجود. انا عايز العب معاك "

- "طب عايز تلعب ايه ؟ "

=" انا هسألك سؤال وانت تجاوب وبعد كدة انت تسألني وانا اجاوب .اتفقنا "

-"ماشي"

=" هبدأ انا الاول ؟انت طلقت مراتك ليه "صدمت من سؤاله لذا اردفت مسرعا

- " عرفت منين ان طلق....." لكنه قاطعني

= "ده لسه دوري في اللعبة جاوب " استجمتع نفسي ونطقت وانا اتلعثم

-"بعد ما ابني اتوفى معرفناش نعيش مع بعض . دوري . ليه مينفعش افتح الباب ؟ عايز اشوفك "

= " علشان متعنيش اكتر ما انت بتعاني في حياتك "

-"تقصد ايه "

="اتفقنا كل واحد سؤال وده دوري. ابنك مات ازاي " (دهشت اكثر واكثر)

-"قدر ونصيب . دلوقتي دوري انت عرفت ازاي ان ابني اتوفى واني مطلق مراتي؟" لكنه لم يرد على سؤالي"سامر انت مشيت "

= "لا بس انت مجاوبتش على السؤال الي فات وعايز تضحك عليا علشان كدة انا همشي"

-"لا لا استنا " لكن رحل مسرعا كالعادة

منذ ان رحل وانا افكر في ذلك الولد. حتى اني لم اكتب اليوميات بمجرد رحيله وتأخرت الى الان احاول ان اجد حلا لما يحدث .لم اجد سوى حالا وحيدا وهو ان اقابل المدعو سيد النحال ان لم يكن الوقت متاخر لصعدت له الان لقد غدا لناظره قريب .وغدا الجمعة سأجده بالاعلى لا محالة

احداث يوم : 27 فبراير 2004

اكتب هذا في اول ساعات يوم 28 فبراير الساعة 12:30 صباحا

كما قلت بالامس. اليوم يجب انا اقابل سيد النحال وبالفعل عقدت العزم على ذلك .كنت سأصعد له بعد ان استيقظت في التاسعة صباحا . قلت ربما يكون نائم .لذا انتظرت لما بعد صلاة الجمعة وبالفعل بعد تأديتها بخمسة عشر دقيقة

ارتقيت السلم مباشرة من الشارع الى شقته بدون ان ادخل شقتي . طرقت الباب مرة تلو الاخرى ليرد اخيرا احدهم من بعيد قبل ان يقترب من الباب

="مين" -"السلام عليكم .استاذ سيد النحال ...."

ليفتح الباب قبل ان اكمل كلامي .لأرى امامي رجل قصير القامة بالنسبة لي .بشارب بدون لحية. ووجه يبدوا عليه انه استيقظ قبل دقائق من الان ولم يدلف لصلاة الجمعة .

="ايوة انا سيد النحال. خير"

-"انا جاي اتكلم معاك بخصوص سامر" رأيت على وجهة بعدها ملامح التوتر قبل ان يجيب

="سامر مين" -"سامر ابنك "

ارتسمت على وجهة ابتسامة سخرية

= "ابني مين يعم .انا لا متجوز ولا مخلف"

-"ازاي ده بيجي يخبط عليا كل يوم وقالي انه ابنك . وعبده صاحب الكشك الي تحت قالي ان عندك ابن "

فصاح في بدون مقدمات

="يعم ما قولتلك انا لامتجوز ولا متنيل مخلف. وعبده اللتات ولا هو فاهم حاجة .وبعدين انت مين اصلا"

-" انا احمد عامر صاحب الشقة الي في الدور ال تحت وابنك كل يوم يجي يخبط عليا وبيتكلم معايا"

يكمل صياحه ="يادي النيلة يعم مقولتلك معنديش زفت عيال اغنيهالك"

ثم اغلق الباب في وجههي وسمعته يقول من الداخل "ايه المجانين دول على الصبح "

هبطت الى شقتي وكنت لا ادري لماذا يخفي ابنه . ولماذا ينكر وجوده .لماذا يلزمه الشقة. حتى ذلك المتلصص صاحب الكشك لم يراه ولا لمرة واحدة .كان ببالي كثير من الاسئلة وكان علي انتظار قدوم سامر في الليل لاحصل على اجوبة.

بعد مرور ساعتين سمعت اصوات خبطات من الاعلى .ما كان الذي يحدث بالاعلى لا ادري.هل يضربه هل يعذبه لانه اتى الي هل ذلك الولد يحتاج الى

مساعدتي . كنت افكر في ان اصعد له مجددا .لكن لم ارد ان اسبب متاعب اكثر للولد او لي .الوقت لا يمر وكل ما كان علي ان افعله هو الانتظار . وبالفعل انتظرت لكن بلا جدوى مر الوقت الذي اعتاد سامر زيارتي به اعتدتي ان يزوروني بين الحادية عشر الى الثانية عشر لكنها الان الواحدة الا عشر دقائق ولم يأتي بعد يبدوا انني سببت كثير من المتاعب له لا اعلم ما الذي علي فعله يجب ان اجد حلا جذريا بالغد.

باقي احداث يوم : 27 فبراير 2004. الساعات الاولى من يوم 28 فبراير 2004

اكتب هذا في يوم28 فبراير الساعة 5:00 صباحا

ما الذي حدث للتو. رغم مرور اكثر من ساعتين تقريبا على ما حدث الا اني مازلت لم اتمالك اعصابي بعد .بعدما يأست من قدوم سامر قررت ان انام وهذا ما ذكرته عاليه.ارحت جسدي في الواحدة وبمجرد ارتخاء جفوني انتقلت لغيائب النوم.لكن بعد ساعة تقريبا طرقات الباب اصبحت تدوي في رأسي حتى اسيقظت بسببها . اقتربت مهرولا من الباب .لم اسأل من بالباب لكني قولت

-"سامر؟"

="ايوة انا يا عمو احمد"فجلست خلف الباب في وضعية الركوع مقربا اذني من الباب

-"اتأخرت ليه كدة انهاردة"

= "كنت مستني بابا ينام "

-"هو بيضربك ؟ اصل سمعت خبط جاي من فوق"

="اه ضربني انهاردة وربطني في السرير"

-"طب ليه؟"

="انت سألت سؤال وده دوري .نسيت اللعبة ؟"

-"مش وقت لعب ياسامر"

="ابنك مات ازاي؟" هززت رأسي مستنكرا من ذلك السؤال

-"حاضر هجاوبك " اخذت نفسا عميقا قبل ان ازفره مصحوبا ب "أاه . حصل حريق في الشقة وملحقناش ننقذه منه "

="ماشي . هرضى بالاجابة دي .دورك "

-"ابوك بيضربك ليه ؟ ولو كان ربطك فكيت نفسك ازاي ؟"

= "دول سؤالين بس هجاوب عليهم لأن اجابتهم واحدة . بابا بيخاف مني . علشان صاحبي.كل ما يشوفني بتكلم معاه يضربني .ورغم ضربه الشديد صاحبي بيخليني محسش بأي وجع "

-"صاحبك مين؟"قولتها بينما تعالت اصوات ضربات قلبي حتي اني كنت اسمعها بأذناي

="صاحبي الي دايما معايا .الي بيحميني .الي بيلعب معايا.صاحبي الي بيحققلي كل امناياتي "

-"مين صاحبك ده اسمه ايه " في هذه اللحظة كنت اشعر بالعرق يسيل من على جبهتي. التوتر لدي كان في ابهى صوره .يداي كانت ترتجف وانا استند بهم على الباب ولاصق اذني به.قبل ان يظهر صوت غليظ من العدم

--"ده انا "

انتفضت من خلف الباب بسماع ذلك الصوت.حاولت الوقوف لكن قدماي لما تساعدني فجلست في مكاني

-"ايه الصوت ده انت مين"

--"انا صاحبه .مش عايز تشوفني .مش عايز تشوف سامر ؟.افتح الباب علشان تقابلنا "

-"انت ايه بالظبط" قولتها وانا ارتجف من الخوف

--"انت نسيت اللعبة ولا ايه . ده دوري .قتلت ابنك ليه يا احمد يا عامر"

-"انت بتقول ايه انا مقتلتهوش"

--"بجد .يعني متخانقتش مع مراتك بسبب انك مدمن كحول ؟

-"محصلش"

--وبعدها كسرتلك كل ازايز الكحول .قبل ما تضربها وترميها برة الشقة ومتخليهاش تاخد ابنكوا واصريت انه يفضل معاك"

-"اسكت .محصلش اي حاجة من دي "كنت في تلك اللحظات اضع يداي على اذني حتى لا اسمع صوته او كلامه

--" لا حصل.وبعدها قعدت تشرب سيجارة ورميتها على الارض والنار مسكت في كل حتى .وانت هربت وسيبت ابنك يموت "

ليقاطعه صوت سامر ="لا .لا ده صاحبي زيك ومستحيل يعمل كدة "

ليرد صاحب الصوت الغليظ

--"اسكت انت انت متعرفش حاجة عن القاتل ده "

-" قولتلك انا معملتش حاجة من دي " بينما دموعي تتساقطت

ثم ظل يردد وهو يطرق الباب –"قاتل وكداب .قاتل وكداب .قاتل وكداب "

الى ان فقدت اعصابي وفتحت الباب لالقن ذلك الشئ درسا .لكني لم اجد احدا امامي وسمعت اصوات اقدام تصعد للاعلى صعدت خلفه لكن سرعان ما تلاشى صوت الخطوات ولما اجده

هل انا فعلا كاذب وقاتل .كنت قد تووقفت عن سؤال نفسي هذا السؤال .هل قتلت ابني .هل قضيت على نفسي بيدي.يبدوا اني بالفعل قد فعلت هذا .هل ما كنت عليه نموذج للاباء . لا. لم اكن كذلك .لكني لم اعد ما كنت عليه .ولن اترك طفلا اخر يسقط ضحية لابيه .ذلك سيد النحال يجب ان يحاسب على ما

يفعله لابنه .وحتى ان كان به خطبا ما .يجب ان يتم مساعدته لا ان يتم ضربه وربطه واخفاءه .بمجرد ان تبزوغ الشمس ويبدأ الناس بمباشرة اعمالهم سأذهب لاقرب مركز شرطة وابلغ عن ذلك الاب وانقذ سامر . سأنتظر بفارغ الصبر.رغم اني لم انم الا ساعة واحدة الا ان النوم لم يأتيني مرة اخرى .لكن بعدما كتبت ما بدخلي اعتقد اني هدأت الان. قد اغفوا ساعة او اثنين

احداث يوم 16 اغسطس 2004

اكتب هذا في الساعة 10:30 مساءا

مر وقت طويل منذ اخر مرة رأيت هذه مفكرة مذكراتي تقريبا 5 اشهر. ظننت انه انتهى امرها وهلكت مع كل ما هلك. يبدوا ان احتفاظي بها بالغرفة قد نجاها من الفاجعة التي حدثت في ذلك اليوم .عندما قرأت ما مضى عادت الي مشاعر متضاربة .هل اكتب ما افعله هنا الان . ام اكتب ما حدث في الفترة المنقضية لأدون ما يحدث .علي ان اروي ما حدث.علي ان اذكر لما انقطعت كل تلك المدى عن التدوين واين كنت . لأصل الى ما انا عليه الان.

احداث يوم 28 فبراير 2004

اكتب هذا في يوم 16 اغسطس 2004 الساعة 10:40 مساءا

من الجيد ان ذاكرتي قوية .رغم مرور اكثر من 5 اشهر الا اني اذكر ذلك اليوم كأنه امس. بعد ان غوفت عدة ساعات في ذلك اليوم استيقظت قبل اذان الظهر بساعتين .لم انتظر الى ان استفيق .بمجرد استيقاظي غسلت وجهي وهبط مباشرة الى مركز الشرطة وابلغت عن الاب الذي يعذب ابنه . حاولت ان ابالغ قليلا في شرح معاملة النحال لابنه كي يتحركوا .والا ظنوا انها حالة تهذيب للطفل لا تعذيب . قلت ان الولد يأتيني يشتكي من ان ابيه يحرقه يوميا وان جسد الولد مليئ بالكدمات والكسور والحروق .وان تركناه هكذا فأن ابيه سيقتله في القريب العاجل .فليسامحني الله على الكذب ولكنه يعلم اني اردت بذلك انقاذ سامر .

ويبدوا ان كلامي كان له تأثير حيث انهم تحركوا معي الى شقة سيد النحال حيث كنا امام شقته وقت الظهيرة طرقنا بابه ففتح لنا .سأله الضابط عن ابنه لكنه رد عليه بنفس الردود الذي قالها لي انه ليس لديه اطفال وكنت اراه ينظر لي نظرة حقد من خلف الضابط لكني لم افتح فمي باي كلمة لاني اعلم ان الشرطة ستحل كل شئ دون تدخلي.بأنكار سيد النحال اضطر الضابط انه يأمر من معه ان يفتشوا

عن الطفل.هنا ابتسمت فهذه لحظة سقوطك يا نحال .لكن يبدوا انه انا من سقط بعد ان اسفر التفتيش عن ثبوت كلامه. لم يكن هناك احدا بالشقة كان في هذه اللحظة علي ان اتدخل

=" خبيته فين ؟ "

من شدة انفعالي كدت ان اعتدي عليه لكن الضابط منعني .فتذكرت عبده صاحب الكشك .فوجهت كلامي للضابط .

-"حضرتك صاحب الكشك الي تحت شاهد انه مخلف وتقدروا تسألوه ."

هبط امين الشرطة واحضر عبده ليوجه الضابط سؤاله له

="استاذ احمد بيقول انك قولتله ان سيد النحال عنده ابن وهو حابسه في الشقة وبيعذبه"

--"اه استاذ احمد سألني فعلا .بس انا مقولتش كدة .انا قولتله ان الاسطى سيد عايش لوحده وهو لا متجوز ولا مخلف"

سقطت هذه العبارات علي كالصاعقة نظرت الى سيد النحال فرأيته ينظر لي ويبتسم . لم اتحكم في نفسي الا وان اردد

-"ياولاد ال**ب يا كدابين" .وكدت ان اعتدي عليه هو الاخر قبل ان يمنعني الضابط وصرخ فيي.=" كفاية كدة يا استاذ احمد" (ثم التفت للنحال)" احنا اسفين عالازعاج وانصرف الى مركز الشرطة وكنت بحوزته

بعد ساعة من ذلك اتى ابي الى مركز الشرطة ومعه صديقه ليضمناني في التهمة الموجهة الي وهي البلاغ الكاذب. جلسا مع الضابط لمدة تتعدى العشر دقائق بينما كنت انتظر انا بخارج المكتب

لم يكن يهمني وضعي في تلك اللحظة اكثر ما كان يشغل تفكيري لماذا غير عبده كلامه .واين كان سامر في هذه اللحظة .نظرات سيد النحال لي كانت توضح انه يخفي شئ لن استسلم سأحل كل شئ بنفسي اليوم .كما قال هامليت اليوم اكون او لا اكون. ليقطع تفكيري ابي وهو يقف بجواري ويضع يده على كتفي

="يلا يا احمد"

-"خلاص تمام كدة؟ "

="اه بلا بينا عالبيت "

-"طب معلش وصلوني في طريقكم "

="لا يا احمد انت هتيجي معايا البيت "

ادرت وجهي للجهة الاخرى اعتراضا على ما قاله ابي قبل ان يردف صديقه

--"يااحمد انت قعادك لوحدك ده مش كويس عليك .كفاية الي حصل لحد دلوقتي . الوقت ده انت محتاج مساعدتنا...." فقاطعته منفعلا .

-" الكلام ده احنا اتكلمنا فيه قبل كدة .انا مش هرجع البيت ومش عايز مساعدة من حد" ثم تركتهم ورحلت

وصلت الشقة واكملت ما تبقى من يومي في انتظار سامر .ومن الساعة الحادية عشر احضر كرسي وجلست خلف الباب في انتظاره اثناء انتظاري غفوت قليلا لاستيقظ بعد دقائق على صوت الطرق .فاسرعت واقترب من الباب

-"سامر .انت ده ؟"

ليتكررصوت الطرق مجددا لاكتشف انه لم يكن صادرا من باب الشقة بل من باب المطبخ اقتربت بحذر وانا اردد-"مين؟"

فتحت الباب بحذر شديد وخطوت في ظلام المطبخ وقبل ان انيره سمعت صوت ضحكات من خلفي تتجه الى غرفة نومي . التفت خلفي لكن لم اجد

احدا لكن سمعت صوت الطرق قادم هذه المرة من غرفة نومي. فهمت في هذه اللحظة ما حدث . عندما فتحت الباب بالامس كأنني اعطيته الاذن ليدخل الى شقتي .

-"سامر انت اكيد سامعني . انا عايز اساعدك " قولتها بينما اقترب من باب غرفة نومي وصوت الطرق لم يتوقف للحظة لكن بعد اتممت ما قولت توقف الصوت .

ثم بشكل مفاجأ سمعت صوت من ادعى صديق سامر قادما من خلفي ويقول

="مش عايزين مساعدة من حد"

انتفضت انتفاضة نتجة عنها تعركلي في احد الكراسي وسقوطي على الارض لاجد من حولي سائلا غريب الرائحة .قبل ان اسال او استنتج عن الرائحة انتشر حريق في جميع ارجاء المكان .استجمعت نفسي ووقفت وسط الحريق

-"سااامر . كلمني رد عليا" .رد انت عليا " ليرد علي هو وصديقه في صوت واحد

="لازم تعاني من الي خليت ابنك يعاني منه "

علمت ان الكلام لن يجدي نفعا .هرولت تجاه باب الشقة وفتحته وهربت منه .لكن لا مفر وجدت نفسي قد دخلت الى الشقة مرة اخرى . كررتها مرارا وتكرارا لكن لا جدوى انا محاصر هنا . بعد عدة محاولات ومع انتشار الدخان وتزايد اللهب. جعلاني اختنق. سقطت على الارض وانا امد يدي تجاه الباب وبينما تنغلق عيناي عنوة رايت خالد يقف امامي وممسكا بيده طفل اخر وخلفهما كيان اسود

احداث يوم 29 فبراير 2004

اكتب هذا في يوم 16 اغسطس 2004 الساعة 11:20 مساءا

فتحت عيني ببطئ شديد .الضوء من من حولي كسيوف تجرح مقلتيي.بالتاكيد لم امت فانا حاليا الان بأمان واكتب هذا .نظرت الى يميني لاجد امي تجلس بجواري وتقرا بعض ايات القران من اجل ان ينجدني الله . فتحت فمي بصعوبة هو الاخر ورددت

-"هو ايه الي حصل؟" قفزت امي من جلستها وهرولت نحوي

= "احمد الحمد لله على سلامتك.ليه تعمل في نفسك كدة يا حبيبي ؟" قبل ان تبدأ بالبكاء مصحوبا بكلمات لم اميزها. ثم دخل ابي ومعه صديقه الدكتور حمدي . الطبيب النفسي الذي تولى علاجي بعد موت خالد.

احداث بين 29 فبراير و 16 اغسطس2004

اكتب هذا في يوم 16 اغسطس 2004 الساعة 11:30 مساءا

بعدما تعالجت من بعد الحروق البسيطة وخرجت من المشفى عدت الى بيت ابي مجبرا .ومجبرا ايضا عدت الى جلسات العلاج النفسي مع الدكتور حمدي . وعلمت منه ان الجيران هم من انقذوني من الحريق بعد انتشار الدخان في ارجاء المكان . بدأت بدوري بحكاية ما حدث خلال ذلك الاسبوع اللعين وعن سامر وصديقه . وكان رده ان كل ما حدث لي كان عبارة عن هلوسة بسبب ما حدث لي بعد موت خالد وان سيد النحال يعيش وحده في شقته . ولولا اني انقطعت عن الادوية التي وصفها لي وقتها لما حدث ايا من ذلك . وان الحريق انا من فعلته لاقتل نفسي بنفس الطريقة التي توفي بها خالد .لم اكن اصدق ايا من هذا .لم اقتنع ولا بحرف. كيف يمكن اني يكون كل هذا هلوسة .كلام عبده صاحب الكشك نظرات النحال الحريق الذي حدث من تلقاء نفسه . كل هذا كان دليلا

قويا لي . حاول الدكتور حمدي اقناعي اكثر واكثر .وقال اني بمجرد اخذي للادوية سينتهي كل هذا .قررت في تلك اللحظة ان اخذ الادوية لاثبت له ان كلامي مضبوط .واتفقت معه ان اخذ الادوية لمدة 5 اشهر. المدة التي من المفترض ان اكون قد شفيت فيها . ثم أأتي الي تلك الشقة ويأتي هو معي لاثبت له ان كل ما حدث لم يكن هلوسة بل حقيقة.

العودة الى الحاضر

اكتب هذا في 16 اغسطس 2004 الساعة 11:50 مساءا

الان قد التزمت بوعدي. اتممت اول جرعة من علاجي .فات على تلك المأساة ما يقارب ال خمسة اشهر. ولذلك . ها انا الان وسط الاثاث المحترق والحوائط السوداء جراء الدخان .هناك على يساري يجلس طبيبي وصديق ابي الدكتور حمدي الذي اوفى بوعده هو الاخر واتى ليثبت كلامه .وواثقا تمام الثقة بنفسه .ننتظر كلانا ان يأتي سامر ويطرق الباب في موعده الذي اقترب .لم تكن هلوسة انا متاكد لم احرق البيت لم افتري على سيد النحال لم اتوهم كلام عبده . لم... عذرا سأتوقف عن الكتابة .احدهم يطرق الباب .

أرسم قدرك

الحياة اصبحت موحشة . لم اعد اقدر على فعل اي شئ .لم يعد لدي شغف لأي شئ . حياتي قُضي عليها والطريف اني كنت الجاني .جاهدت نفسي كثيرا وكثيرا ألا اقوم بمثل هكذا خطوة . لكن اخشى انها اصبحت قدر محتوم . سأدون هنا ما قادني لهذا .لربما يعذرني الناس.سأعود في التاريخ لذلك اليوم .اتذكر تاريخه لانه يوما لا ينسى 5/ 7/ 2003 .

ذلك اليوم كنت قد سلمت لوحة غلاف رواية لأحد دور النشر التي اعمل لديهم . وقبضت الثمن . لذا قررت اني يجب ان ارفه قليلا عن ابنتي ذات السبع سنوات . لذا قررت ان نذهب سويا الى احدى مدن الملاهي كانت ليلة نموذجية . انفقت قدر ما استطعت لأجعل اميرتي الصغيرة سعيدة.لا ذلت اتذكر تلك الابتسامة بينما يُرسم على وجهها .اتذكر وقتها ان قلبي كان يحلق في السماء .اشعر انني جعلت ابنتي سعيدة . لذا حرصت ان اسألها ونحن في طريق عودتنا بسيارتي

-ايه ياسارة .مبسوطة يا حبيبتي ؟

=اه .اوي يا بابا

(ابتسم قلبي قبل ان تنتقل الابتسامة الى شفتي) –ودايما افتكري اي حاجة عايزاها قوليلي بس

=بجد يابابا ؟ - طبعا

= طب انا كنت عايزه اروح عند ماما والعب شوية مع اخواتي

(رحلت الابتسامة بسرعة ظهورها)- اولا دول مش اخواتك دول ولاد جوز مامتك ثانيا احنا اتكلمنا في الموضوع ده كتير .ماما مش فاضية ليكي.مشغولة بولاد جوزها .

= بس بابا حسام بيحبيني وبيعاملني كويس و ..

-ايه بابا حسام ده (وجهت كلامي لها بانفعال شديد وصوت صارخ) انا بس الي يتقلي بابا انت ملكيش غير اب واحد (بدأت عينيها تترغرغ بالدموع وصوت انين اصبح يصدر منها . حاولت ان اهدأ نفسي حتى اصحح ما فعلت) انا اسف يا

سارة معلش . (لكنها لم تهدأ . املت برأسي لها ومددت يدي لاتحسس شعرها) سارة حبيبتي خلا.....

لم اكمل الكلمة قبل ان اجد امامي سيارة نقل توقفت بدون سابق انذار . امسكت مقود السيارة بكلتا يدي محاولا تفادي السيارة . لكن سيارتي لم تتماسك وانقلبت بنا وهنا اصبح كل شئ من حولي اسود .

هل تعلم كيف هي سارة . تلك الفتاة الرقيقة بيضاء البشرة كما هي امها .صوت رقيق تكاد تسمعه. عندما تبتسم كأنما املك الدنيا . اصبحت اعيش من اجلها بعدما انفصلت انا وامها. لكنها كانت . والان هي لا شئ . لان في تلك الليلة انقلبت بنا السيارة في النيل في منطقة جديدة كانت تحت التطوير . لم ادري بكل ذلك الا بعدما افقت في المشفى بعد اربع ايام من الاغماء . لست بحاجة لكي اوصف لكم مشاعري. فقدت اعز شخص في حياتي .فقدت من احيا من اجله . وكان الالم اشد حين علمت انهم الى هذه اللحظة لم يجدوا جثمانها . حتى توديعها لن احظى به .تقبيل رأسها احتضانها للمرة الاخيرة .كل ذلك لم يعد بمقدوري فعله . لم تكن اصابتي بالغة بعض الكدمات بالاضافة الى شرخ في عظام ذراعي الايمن خرجت من المشفى بعد مدة قصيرة ومكثت في منزلي لمدة

تزيد عن شهر انتظر مكالمة يقولون فيها وجدنا جثمان ابنتك. لكن لا جديد .مكثت شهراً دون اي تواصل مع احد . هل كانت شهر فعلا .لا اتذكر فانا لم اكن اشعر بالوقت . لكن هذا ما اخبرني به عز(صديقي الذي ترعرعت معه منذ الصغر). خلال ذلك الشهر عز كان يزوروني على فترات لكني كنت ارد عليه من خلف الباب فقد ليطمئن علي ثم يرحل . جائتني اتصالات عديدة سواء من عز او بعض المعارف او من هدى.

اهٍ يا هدى كيف يمكن ان ارد على مكالماتك .ماذا اقول لكي ؟ اهملت في تعاملي مع سارة .ألقيت بها بنفسي الى التهلكة . حاربتك ووقفت ضدك لقي اضمها لي بعد ان تزوجتي .وفي النهاية لم احافظ عليها .قدمتها بيدي الى الموت .لا. فمواجهتك هي بالنسبة لي من رابع المستحيلات .

بعد تلك المدة طُرق بابي .من الطارق ؟

-مين ؟

=انا عز . عامل ايه انهاردة يا كامل ؟ (قررت هذه المرة انه الوقت لفتح الباب) .اخيرا يعم فتحت . شهر بحاله قافل على نفسك

(لم اردف ولا كلمة وسحبت نفسي الى الداخل وجلست امام اللوحة الذي كنت قد بأدت فيها للتو)

= انت عامل ايه دلوقتي ؟ (قالها بينما يدلف من الباب واغلقه بعدها)

-الحمد لله تمام احسن انهاردة (رددت دون ان التفت اليه وممسك فرشة الرسم في يمناي اتمم اللوحة

=طب الحمد لله .(صمت قليلا ثم اكمل) صحيح هتفك الجبيرة امتى(مشيرا الى يدي اليمنى)

-(نظرت الى يدي ثم تابعت الرسم) رحت امبارح للدكتور فكيتها انا بس رابطها برباط ضاغط علشان وجعاني شوية

=(ابتسم ابتسامة صغيرة) اه صحيح منتا بترسم اهو . دي لوحة شغل ولا بتسلي وقتك

-مفيش وقت للتسالي .كلمت الدار امبارح بمجرد ما فكيت الجبيرة سالتهم لو في شغل متاح قالولي ان في رواية عايزني ارسملهم غلافها . (وجهت نظري تجاهه)عايز انشغل في اي حاجة

= كامل. انت بقيت كويس ؟بجد ؟

-(ابتسمت بينما اعود بنظري للوحة) انا كويس يا عز . روح انت شغلك علشان متتأخرش

بمجرد مغادرته شعرت بالالم يزداد في ذراعي كأن هناك شئ يتحرك بداخله لذا قررت ان اتوقف حاليا عن الرسم واكمل فيما بعد.

لهذا عز هو صديقي المقرب.يعلم انني لا اريد ان نتحدث عن سارة فتجنب الحديث عنها واكتفى فقط بسؤاله (كامل. انت بقيت كويس ؟بجد ؟) ويعلم ان لو هناك جديد كنت سأخبره. اكرر لهذا هو صديقي المقرب بل الوحيد كذلك.

في المساء عدت مجددا لاكمل رسمتي لغلاف الرواية التي في مرحلة الطباعة وستصدر قريبا. وبينما ارسم كان بجواري ملخص الرواية كما اعتدت حتى اضيف تفاصيل في الغلاف مشتقة من الملخص . كانت رواية بعنوان " قتل المُنتحر شنقا " عن شخص قام بالانتحار عن طريق شنق نفسه ولكن التفاصيل الداخلية اكثر تعقيدا . لن اقل المزيد من التفاصل لربما تصادف وقرأتموها مستقبلا . المهم قررت ان يكون الغلاف معبرا عن العنوان اكثر . فرسمت شخصا متدليا من حبل مشنقة في غرفة شبه مظلمة ومن اسفله كرسي مقلوب

وسلاح ناري ملقى على الارض وبجواره عدة رصاصات . اعجبتهم الفكرة وها انا انفذها .

يومان هو رقم قياسي بالنسبة لي لانهاء لوحة .لم اكن اعرف انني قادر على ان انهي لوحة في مدة كتلك .ربما لان ليس لد ما افعله الا الرسم .افرغ طاقتي ومعاناتي وحزني وألمي به . ولكن بعض الاحيان ألمي كان يغلبني. خصوصا ألم يدي اليمنى . الذي كان يشتد كل يوم عن اليوم الذي قبله . لكن في اليوم الذي انهيت فيه اللوحة كان الالم وصل الى مرحلة شديدة لذا قررت ان اقوم بعمل كمادات بأكياس الثلج كما نصحني الطبيب.لكن بمجرد ما فككت الرباط الضاغط وجدت ما هو اسوء من الالم.ما الذي حدث لذراعي .من مفصل الكوع الى الرسغ متحول تقريبا لاللون الازرق هرولت مسرعا للثلاجة واحضرت كيس ثلج بل اكياس ثلج ووضعتها حول ذراعي .لكن لا جدوى اللون لا يتغير . لو لم يكن الوقت متاخر لكنت ذهبت الى الطبيب لكن لا مفر .غدا لناظره قريب.

في اليوم التالي وانا في طريقي عائد من دار النشر بعد ان سلمتهم اللوحة مررت على الطبيب ليرى ما حل بذراعي وليجد له حل.

لطالما كرهت العيادات بل كرهت الاطباء بلا استثناء .لكن لا مفر منهم فكل منا سيحتاج اليهم. شئت ام ابيت ستحتاج مشورتهم .ولك في ما حدث ويحدث لي خير مثال .

-السلام عليكم .ازيك يا دكتور

=اهلا يا استاذ يا كامل . عامل ايه انهاردة

-(صمتت للحظات . ما هذا سؤال الغبي) مش احسن حال.المهم يادكتور انا امبارح الم دراعي زاد شوية ولما جيت اعمل كمادات لقيته بالمنظر ده (قولتها وانا اكشف ذراعي ساحبا كم القميص لاعلى)

=(توجه الطبيب بنظره لذراعي لعدة ثواني.قبل ان يعود به تجاهي) ماله ؟

-(ارتسمت على وجهي ابتسامة سخرية)ايه الي ماله يادكتور؟ زي ما حضرتك شايف

=(امعن الطبيب النظر) مش واخد بالي معلش ماله في ايه

-لونه يادكتور . مش واضح ان لونه ازرق

=انا شايف لونه طبيعي .مفيش اي حاجة. – هو ايه الي مفيهوش اي حاجة. اللون الازرق مش بسيط علشان ميبنش ده لون ازرق جامد.

=(اخرج الطبيب نظارته من جيبه وامسك يذراعي واخذ ينظر اكثر) انا مش شايف اي لون مختلف انا شايف دراعك طبيعي كليا . ممكن تكون الحادثة عملتلك مشكلة في النظر او في مستقبلات الالوان عالعموم انا برشحلك دكتور سالم المحمدي هو .....

-(قاطعت كلامه وحدثته بإنزعاج) مستقبلات الوان ايه دكتور انا مش شايف جسمي كله ازرق هو الجزء ده بس . ثم هنروح بعيد ليه انا القميص الي انا لابسه كحلي . جرافتتك بني في اسود . الفرام بتاع شهادة الزمالة دي دهبي. المقلمة الي على المكتب لونها احمر . انا معنديش مشكلة في الالوان.

=عايزك تهدى بس يا استاذ كامل .احنا ناخدها خطوة خطوة .(خطى تجاه المكتب وسحب دفتر الروشتات وامسك بقلمه) انا هكتبلك مسكن للالم اشد من الي فات . وهكتبلك اسم وعنوان الدكتور الي قولتلك عليه هنا رحله نطمن الاول وبعد كدة نشوف.

-طب لو طلع مفيش مشكلة

=ممكن وقتها نكشف مخ واعصاب (قالها وهو يعطيني الروشتة)

اخذت الروشتة وخرجت من عنده دون ان ازيد ولا حرف .

ما هذا المخبول لن اذهب لاي طبيب اخر. هذا اللون لابد انه كدمة وهذا الطبيب يهذي ولا يستطيع ان يراها . من الذي يجب ان يذهب لطبيب رمد . انا ام ذلك الذي تجاوز ال60

في الليل زارني عز وسردت له ما حدث لي اليوم

=ودراعك فعلا ازرق؟

-اومال انا بقولك ايه من بدري (اردفت وانا ممسك في يدي دفتر رسمي وقلمي الرصاص ارسم تلك النبتة التي قد ماتت لان لم يعد هناك من يسقيها من بعد وفاة سارة .كنت ارسمها كما كانت من قبل مزهرة بالورورد والاوراق .لان هكذا دائما كانت تحب ان تراها سارة)

= طب ما تفك الرباط كدة وتوريهولي. (تجمدت للحظات افكر. ماذا لو قال لي ما قاله الطبيب صباحا ؟وضعت الدفتر بجانبي . كانت نبضات قلبي تزداد بينما اقرب يدي من الرباط الضاغط واشرع في فكه بينما كان يألمني ذراعي)

=..... (كان ينظر لذراعي دون ان يتلكم ثم اردف)مفيش حاجة ياكامل

-عز . والله ما ناقصة هزار انا على اخري =بص يا كامل انا ممكن اجي معاك بكرة نكشف نظر مش هنخسر حاجة

-انت هتعملي زيه .هو في ايه يجدعان . =فيه ان دراعك لونه عادي .طب في حاجة تانية شايفها باللون ده ؟

=انا لسه قايلك من شوية مفيش اي مشاكل في نظري وكشف نظر مش كاشف الموضوع منتهي.

لم اكن اعلم ما المشكلة .اعلم ان هناك خطب ما لكني لا اعلم ما هو ماذا علي ان افعل؟ لا اعلم .لكن في اليوم التالي حدث شيئا انساني يدي الى حد ما .

في الصباح بينما اتفقد الصحف لفت نظري شيئا . لوحتي التي اتممت رسمها امس لما هي هنا . هل قرروا نشرها كشيئا تشويقيا للرواية ؟.لكن ما هذا الخبر ! انتحار شخصا مجهولا ولم يُستدل على هويته .ما هذا الهراء كيف يضعون لوحتي على خبر انتحار دون اذني او اذن الدار وايضا مكتوب تحت اللوحة تصوير "ناجي عدلي" . تصوير ! حقا ! سرقة وتزوير معا .رائع .

امسكت هاتفي واجريت اتصال سريعا بأحد الصحفيين العاملين بتلك الجريدة والذي كنت على معرفة سطحية به

-الو ازيك يا استاذ جلال اخبارك ايه .....انا الحمد لله في تحسن. في مصور عندكم اسمه (امسكت الجريدة لاقرا الاسم الذي قد طار من ذاكرتي) ناجي عدلي ..... طب كويس. لو معاه تليفون ممكن بس حضرتك تمليني رقمه .... طب ممكن اوصله ازاي ..... طب ثانية اجيب قلم وورقة .....ايوة معاك .....20 شارع ايه ؟

.....تمام تمام . شكرا يا استاذ جلال الف شكرا

انهيت المكالمة ووارتديت ملابسي مسرعا لاذهب لاقابل لص اللوحات ذلك . بعد حوالي 30 دقيقة او اكثر بقليل وصلت الى وجهتي . محل صغير كتب اعلاه "إستوديو أل عدلي" دلفت من بابه الصغير لاجد شابا في عمر ال 25 او ما يقارب.

= اهلا بحضرتك - اهلا . هو انت ناجي عدلي

= لا انا صموئيل ابنه والدي في مشوار ونص ساعة كدة ويوصل

خرجت من ذلك الإستوديو وفي يدي تلك الجريدة مفتوحة على ذلك الخبر وقصدك اقرب قهوة للإستوديو والتي كانت في واجهة المحل انتظر ذلك المدعو ناجي والذي بالمناسبة لا اعرف ملاح وجهة . فكان كل شخص يدلف المحل ادخل خلفه لايراني ابنه ويقولي لي "=لسه مجاش" .مر الوقت نص ساعة فالاخر فالاخر . حتى اتي احدهم فدلفت خلفه لاسمع.لاجد ذلك الصبي يقول

*اهو ده يابابا الي سئل عليك (ليلتف لي رجل في اواخر عقده الخامس)

=خير يا استاذ اقدر اساعدك ازاي

لم القي اي تحية بل افتتحت الموضوع . وجهت الجريدة في وجههة

-حضرتك الي صورت الصورة دي ؟

امسك الرجل الجريدة بيده لينظر للصورة ثم شرح في الرد

=اه انا خير - متاكد = اه يا استاذ انا خير في حاجة (بنبرة قلقة)

-حضرتك اللوحة الي في الخبر دي بتاعتي انا لسه لسه راسمها ومسلمها امبارح عايز اعرف ازاي تنشرها على خبر زي ده وتكتب كمان انه من تصويرك

= انت مين اصلا ولوحة ايه بقولك الصورة دي انا مصورها امبارح من بتسريح من الحكومة بصفتي شغال في الجرنال تقولي لوحة

-طب لو انت صادق اكيد عندك النيجاتف بتاع الصورة دي

=انا مش فاهم منك حاجة ومع ذلك .(تركني الرجل ودخل خلف المكتب واخرج عدة صور)دي باقي الصور الي صورناها هناك وهتلاقي وسطهم الصورة الي اتنشرت.

اخذت الصور من يده وشرعت في تصفحهم وهنا صُدمت. بعض الصور هي نسخة من الصورة التي نشرت لكن من زاواية مختلفة .الى ان وصلت للصورة التي نشرت والتي كانت نسخة طبق الاصل من لوحتي ولكن بتفاصيل حقيقية ليست مرسومة . تلك التفاصيل لم تظهر في الجريدة بسبب جودة النشر.كيف لذلك ان يحدث كيف رسمت صورة حقيقية لم ارها من قبل .

عدت الى البيت وانا افكر طوال الطريق.كيف حدث كل هذا .لم اكن اجد تفسيرا . هل اسرد قصتي لاحد لربما يجد تفسير لي . لكن من سيصدق كلاما كهذا. علامات استفهام كثيرة كانت تحوم في رأسي . بمجرد وصولي البيت علامات الاستفهام زادت اكثر واكثر عندما رأيت ذلك الاصيص الذي به نبتة سارة الزابلة

او هذا ما كنت اظنه . النبتة قد بعثت فيها الحياة من جديد انها تشبه رسمتي التي رسمتها من يومين.هرولت سريعا الى دفتر الرسم وتفحصت الرسمة . تطابق تام حتى في عدد الزهور والاوراق دارت افكار عديدة في رأسي كلها ادت الى قرار واحد. اسرعت واحضرت احد اللوحات الفارغة وبدأت ارسم .مقاوما الم ذراعي الذي كان يزداد كلما تقدمت في انهاء اللوحة .

= يعني انت عايزني اقتنع ان رسومات ولوحاتك بتحقق وتتحول للواقع!

-طب فسر يا عز .قولي انت تفسير غير الي قولتهولك

=معرفش بس .الي بتقوله ده منافي للمنطق

-منافي للمنطق ! اومال لما اقولك على الكبيرة

=ايه تاني ؟ - انا خدت بالي ان دراعي لونه الازرق بيزيد والالم بيزيد وانا برسم فأعتقد ان الموضوعين ليهم علاقة ببعض

=بغض النظر عن اللون .طبيعي ان الالم يزيد وانت بترسم علشان بتعمل بيها مجهود

– مجهود ايه هو تحريك الريشة بكام صباع مجهود . ثم انا بستعملها عادي طول اليوم ومفيش اي الم ولا حاجة الا وانا برسم .وعلى العموم انا رسمت اللوحة دي انهاردة وهنشوف بعد يومين ايه الي هيحصل

=طب ايه بالظبط الي في اللوحة ده وضحلي؟ دي مطرة ؟

–احنا في شهر ايه؟ = احنا في اغسطس – ايه نسبة ان ممكن يحصل امطار في اليومين دول .شبه مستحيل صح ؟

=هو صعب فعلا خصوصا ان مفيش اخبار عن اي عواصف واحنا لسه في فصل الصيف

–جميل . انا رسمت لوحة ظاهر فيها الشباك ده(اشرت تجاه الشباك المجاور لي) ومن برة امطار وعواصف رعدية في الليل ولو خدت بالك الساعة هنا مكتوب فيها الساعة 10:00 يعني لو كلامي صح بكرة او بعده بالكتير هتحصل عاصفة رعدية

=ومين الي واقف في نص اللوحة مدينا ضهره ده

–ده انا وانا بحتفل ان كلامي صح

=(ابتسم عز ابتسامة سخرية)حاول متتفرجش على افلام كتير الفترة الجاية

– اهو علشان الكلام ده مكنتش عايز احكيلك .وبعدين هنروح بعيد ليه انت كل يوم من الساعة 9 تيجي تقعد معايا وتشوف بنفسك الي هيحصل

=وانا معنديش مانع . علشان بس اثبتلك ان كلامك غلط

لم يرفض عز طلبي كما توقعت قبل ان اطلبه .وما الذي سيجعله يرفض في اليوم التالي تابعت اخبار الطقس تابعت حركة السحب لم هناك اي بوادر لحدوث اي شئ .وفي الليل سهرت انا وعز امام ذلك الشباك في انتظار العاشرة

=اهي بقت عشرة وخمسة ومفيش حاجة

–هو في الغالب كدة مفيش حاجة انهاردة .بس عادي الزهور مظهرتش الا بعد يومين فبنسبة كبيرة هتبقى بكرة

في اليوم التالي في نفس المكان في نفس الموعد

=انت شايف ايه ؟ (سألني عز ذلك السؤال لكني لم اعيره اهتمام) انا عن نفسي شايف انك تهدى كدة وتفكك من الكلام ده

–هستناك بكرة هنا في نفس المعاد ونقعد نفس القعدة ونستنى

= تحب ابات عندك احسن يبني مش فاضيلك

-عز خلص انا مش فايق

=استغفر الله العظيم ماشي لما نشوف اخرتها معاك (قالها بينما ينهض ويجمع اغراضه استعدادا للرحيل)

في اليوم التالي تابعت الاخبار والتي لم تتكهن باي شئ يبدو لكن السحب في السماء اليوم كانت كثيفة نوعا ما .هل اليوم هو اليوم الموعود ؟

في المساء وقبل الموعد الذي كان على اللوحة بخمس دقائق كنت انا وعز في مكاننا ننتظر - تفتكر هتمطر انهاردة

= انا شايف لا انهاردة ولا بكرة ولا بعده . بس تعرف رغم ان شكلك اتجننت بس انا مبسوط انك عالاقل خرجت من الحالة الي كنت فيها من بعد الحادثة

-الحالة دي كانت غصب عني حط نفسك مكاني

=انا مقدر الي حصلك علشان كدة محاولتش اني افتح الموضوع

-واديك بتحاول = منا مش عايزك تحس اني مش مهتم او .....

-(ألتفت اليه وقاطعت حديثه)عز . احنا متخطيين الكلام ده بمراحل . انت اكتر من اخويا . احنا طول عمرنا مع بعض متربيين سوا . (في تلك اللحظة لاحظت ضوء ساطع ظهر على وجه عز تغيرت بعدها ملامح عز للصدمة. قبل ان يخترق ذلك الصوت اذناي.انه الرعد.

نظرت تجاه الشباك لأرى المزيد من البرق الذي يتبعه الرعد وبعد اقل من ثانيتين كانت الامطار تتساقط في كل مكان . وقفت وألتفت لعز وانا اردد مبتسما

" قولتلك وانت مصدقتش شفت بقى "بينما كانت يظهر على وجهة الذهول التام . استدرت تجاه الشباك ورفت يدي وبدأت بالصراخ من الفرحة بينما كانت عقارب الساعة تشير الى ال 10:00 .

انتهى وقت التجربة والآن وقت العمل. خلال تلك الايام الماضية بينما كنت انتظر تساقط الامطار . كنت افكر ماذا سيحدث ان تساقطت الامطار .ماذا بعد ذلك .هذه اليد وذلك الذراع الازرق كيف يمكنني ان اجلب لنفسي بهما الساعدة .ماذا ينقصني لكي احيا سعيدا . بالتاكيد ينقصني الشخص الذي فقدته .ينقصني تواجد سارة بجانبي.لكن هل يمكن .هل يمكنها ان تعود . ولما لا فتلك النبتة قد بعثت من جديد هي بالفعل كائن حي. هل جننت فيما افكر فيه ؟ لا ادري ولكني

تابعت في انتظار الامطار . وحاليا قد سقطت بالفعل .اذاً فما يحدث هو حقيقة .لا اعرف كيف لكنه حقيقة .وبالتالي لا ضرر من تجربة لوحتي التالية . سارة قريبا قد تكونين بين ذراعي .امسكت احدى اللوحات الفارغة وفرشتي وشرعت في صنع المستحيل .نويت الا اتحرك من مكاني الا وانا منتهي من تلك اللوحة ومع تعمقي في الرسم كان الالم يزداد شيئا فشيئا وهذه المرة كان اشد من ذي قبل .لكني لن اتوقف .اخرجت جميع الثلج ولففته حول ذراعي .اليوم ستنتهي تلك اللوحة .

-ايه رايك يا عز ؟

=والله فكرة كويسة .هي جريئة بس حلوة

-انا قولت هتقولي انت مجنون

=هو بعد الي شفته عندك من يومين ده في جنان .خلينا نشوف هنوصل لأيه

بالتأكيد سنصل الى كل خير . تلك اللوحة يجب ان تعامل معاملة خاصة يجب ان تظل امامي 24 ساعة وانتظر المستحيل ان يتحقق لا اعرف كيف ! ربما انتظر مكالمة او احدهم يدق بابي وتكون هي سارة . ولكن فلنرى

مر اول يوم دون حدوث شئ ولكن لا مشكلة من خلال التجارب الماضية فأنها تستغرق من يومين الى ثلاثة فلا مشكلة . توقفت عن العمل في تلك الفترة. فانا الان مستعد ان ترد روحي الى صدري من جديد . فأي عمل قد يكون اهم من ذلك؟ بعد ثاني يوم لم يحدث شئ بدات اقلق لكن لا فالامطار اخذت ثلاثة ايام ما زال الوقت يحتاج بعض الوقت .لا مشكلة فانا لا امتلك اكثر منه .

بينما كنت انتظر كنت استعيد ذكرياتنا السعيدة معا . كم كنا اسرة سعيدة حتى قبل الانفصال خصوصا . بدأت علاقتي بهدى بينما كنا ندرس معا في كلية الفنون الجميلة تطورت العلاقة شيئا فشيئا وبعد ان انهينا الدراسة اتممنا زفافنا وبعد فترة وجيزة رزقنا بسارة .وتوالت الاحداث السعيدة حتى ذلك اليوم الذي فصلت فيه من عملي ولم اجد بديل لفترة وقدرها. لم تتحمل هدى تلك الحياة والمعيشة وحدث الانفصال . لم اكن اتخيل ان هدى يمكن ان تتخلى عني بهذه السهولة بغضتها كثيرا بعد ذلك كل الحب الذي كننته لها قلبي تحول لكره شديد . تخلت عني في الوقت الذي كنت احتاجها بجانبي ولم تكتفي بذلك بل ايضا اخذت سارة مني. ولذلك بمجرد علمي بزواجها صممت على ضمها حتى نجحت في ذلك .وياليتني لم انجح على الاقل كانت ستكون على قيد الحياة .قد تمنعني

هدى من رؤيتها كما فعلت قبل ان اضمها ولكن على الاقل ستكون سارة سعيدة .

في اليوم الخامس من الانتظار كنت لازلت احتفظ بالامل . لان ذلك كل ما يبقيني على قيد الحياة .وعندما سمعت طرقات على بابي هرولت تجاهه انها هي بالتاكيد هي . فتحت الباب بلهفة وشوق وصدمت عندما وجدتها هدى .

لا محال من مواجهتك. قلت انه من رابع المستحيلات . ويبدو انه لا يوجد مستحيل. ما التالي ؟ ربما نشاهد العنقاء تطير في السماء او نصادف الغول بيننا او الاصعب. ان تجد خِل يفي لك.

-هدى!ازيك ؟عاملة ايه ؟

= انا الحمد لله بخير .انت الي عامل ايه .حاولت اكلمك علشان نطمن عليك بعد الحادثة .

-بلاش الطريقة دي يا هدى .عاتبيني احسن .بس بلاش كدة

= طريقة ايه ؟

-انا عارف اني غلطت. انا بجد مش لاقي حاجة اقولها .مفيش كلام يقدر يعوض خسارتنا (قلت ذلك بينما الدموع تتساقط دون تدخلي)

=انا مش جاية اتكلم في كل ده ياكامل .الموضوع ده خلاص اتقفل

-خلاص ازاي ده انا لسه بتعذب بسببه الى الان (تركتها ودخلت تجاه اللوحة وانا انظرلاعين سارة على اللوحة وابتسم) بس اوعدك كل حاجة هتتصلح قريب

وألتفت لها من جديد لأجدها واقفة ومن امامها سارة.

نعم انها هي .لم اتحرك من موقعي لم ابدي اي رد فعل كنت في صدمة تامة .اكاد اسمع صوت نبضاتي التي تسارعت دون سابق إنذار

--بابا وحشتني اوي (قالتها بينما تهرول تجاهي واحتضنتني من خصري)

هنا تاكدت انه ذلك حقيقة وضعت يدي على شعرها وجثوت على ركبتي بينما ترتسم على وجهي ابتسامة من الاذن للاذن ودموع الحزن تحولت لنظيرتها من الفرح.

-سارة (قلتها بينما احتضنها ودموعي تتساقط .كما كان في اللوحة).

لمدة خمس دقائق ظللت احتضنها وابكي واقبل رأسها واملئ صدري برائحتها. كم افتقدها .شعرت وكأن روحي قد رُدت إلي .كُنت قد نسيت شعور كوني على قيد الحياة .وآلان ها انا اعيش من جديد. بينما لازلت احتضنها اتى صوت هادمة اللذات

=مش ملاحظ انك مزودها شوية ؟

رفعت نظري تجاهها وعلى وجهي ابتسامةالفوز

-سارة رجعتلنا يا هدى .انا رجعتها.(كانت تنظر لي بنظرات غريبة)

=رجعتها منين؟ - رجعتها بعد الي حصل يوم الحادثة .

=انا مش فاهمة منك حاجة .عالعموم احنا كنا جايين نطمن عليك بعد الحادثة .انا كنت عايزة اجيلك المستشفى بس مرضيتش اخلي سارة تشوفك وانت هناك. قولت لما تخرج نبقى نيجي نزورك. بس انت مكنتش بترد على تليفونك.

-(وقفت بينما امسك سارة بيدي) سارة تشوفني ؟ تشوفني ازاي (كنت اشعر اني مشوش في تلك اللحظة) هي سارة كانت عندك ؟

=اه يا كامل كانت عندي اومال هتروح فين ؟

-(بدأت استشيط غضبا)كانت عندك وسيباني كل ده وانا بعاني مش قادرة تيجي تطمنيني عليها .

=(بدأ ترفع صوتها الى حد ما ردا على نبرة صوتي)تطمن عليها من ايه الي هيجرالها يعني

-انا كل ده كنت فاكرها ماتت معايا في الحادثة وبعد كل ده تطلع كانت عندك بعد الحادثة .انتي ازاي تعملي فيا كدة ؟

=ايه الكلام الي بتقوله قدام البنت ده . حادثة ايه الي كانت معاك فيها .انت تقريبا كدة مخك جراله حاجة .يلا ياسارة(بينما تمد يدها وامسك بيد سارة لتأخذها)

-ايوة كانت معايا في الحادثة اومال كانت فين ؟(بينما اتلعثم)

=(نظرت تجاهي بملامح تعجب وإِشمئزاز)لا انت كدة اتجننت فعلا (ثم سحبت سارة من يدي وخرجت)

لا اعرف لما سمحت لها بأخذها مني لكني لم اكن في وعيي. ما هذه التخاريف التي تقولها. اتذكر وجود سارة بجانبي في الحادث اتذكر ذلك 100٪ . لكن كيف ما تقوله ؟

=هي عندها حق فعلا ياكامل البنت مكنتش معاك في الحادثة

-استنا بس ياعز علشان افهم .سارة مكنتش معايا في الحادثة .سارة متوفتش في الحادثة؟

=ايوة انت كل ده محصلش

-طيب ازاي لما وريتك اللوحة الي رسمتها قولتلي فكرة كويسة وحلوة

=ايوة منا كان قصدي فكرة ان هدى تخليك تشوف سارة او انك تاخدها منها .انت فهمت ايه ؟

-لحظة لحظة !تخليني اشوف سارة ؟تخليني اشوفها ازاي ! هي مش سارة عايشة معايا من وقت ما هدى اتجوزت . مش انا وقتها ضمتها لحضنتي وعاشت معايا السنة ونص الي فاتوا (كنت اتلعثم بينما اردف ذلك من توتري)

= ايه يبني الكلام ده في ايه .سارة من يو ما انفصلتوا وهي عايشة مع مامتها

صمتت لعدة ثواني قبل ان اردف

-اعتقد انا فهمت =فهمت ايه قولي

– كل الي بقوله ده حصل . انا ضميت سارة لحضانتي وكانت معايا في الحادثة واتوفت . ولما رسمتها وهي عايشة .علشان ده يتحقق كان لازم سارة متكونش جنبي في الحادثة. وازاي متكونش جنبي ؟ اني اكون منجحتش في ضمها وان هدى تكون منعاها عني . لان ده السبيل الوحيد لنجاتها .صح

=ثم؟

–وبالتالي الواقع اعاد ترتيب نفسه تاني بحيث الاحداث تؤدي لنجاتها

=ايه الخيال العلمي الي انت بتقوله ده ؟

–ده على اساس ان اللوحات الي بتتحقق دي شئ طبيعي؟

بالتأكيد هذا ما حدث . لكن من يهتم ؟ سارة عادت الى الحياة . اعدتها وانتهى الامر .عادت للحياة.ولكن لم تعد لي .هي الان تحت تحكم هدى . يجب ان اجد حل .

–الو ازيك ياهدى ..... كنت عايز اقابلك انتي وسارة .....

كنت عايز اقعد اتكلم معاكي في حاجة ضروري .... اختاري المعاد

والمكان الي يناسبوكي براحتك ..... تمام ....تمام .خلاص هبقى هناك في المعاد .....تمام مع السلامة

رغم خلافاتنا ورغم كرهي لها بعد ما فعلته بي .الا اني لا اريد أن آخذ اي خطوات متهورة الا عندما اجرب ان اتحدث اليها . لان وقتها اكون قد اخليت مسؤليتي امام نفسي وامام ابنتي .

في الموعد المحدد ذهبت الي الكافيه المتفق عليه وكانت هناك في الانتظار .

-ازيك ياهدى (قلتها وانا اسحب احد الكراسي للجلوس عليه) اومال سارة فين؟

=انت اخر مرة مكنتش مظبوط وانا مبحبش ان بنتي تشوف باباها في الوضع ده فجيت انا اشوف ايه الموضوع المهم الي انت عايزني فيه يارب يكون يستحق.

-طيب . بصي يا هدى . وضع ان بنتي تكون بعيدة عني ده مش هينفع . بل من حقي انها تعيش معايا .انتي مش فاضية ليها كفاية عليكي ولاد جوزك . انا على عكسك هكرس حياتي كلها ليها .وارجوكي الموضوع يمشي ودي افضل

=تعرف اني بعد الحادثة بتاعتك انا كنت قررت اني اسيبك تزور البنت واسيبكوا تخرجوا سوا .اصلك صعبت عليا وقولت حرام احرمه من بنته .بس بعد الي شفته منك لما جينالك انا مسحت الفكرة دي من دماغي .وانت جاي دلوقتي تقولي انك عايز تضمها ليك . انت مجنون ياكامل .انا مأمنش على بنتي معاك ولا ساعة حتى .

-انتي مش فاهمة حاجة انتي متعرفيش انا عملت ايه علشان بنتنا تبقى وسطنا

=انت عمرك ما عملتلها حاجة . ده لولا ان بابا هو الي كان بيصرف عليا انا وسارة لما سيادتك كنت قاعد في البيت الله اعلم ايه الي كان ممكن يحصل .

-عمري ما عملتلها حاجة؟! (انفعلت وانا اقولها قبل ان اهدء من نفسي كوننا في مكان عام) انتي الي مهما عملتي ليها عمره ما هيكون ربع الي انا عملته

=وانت عملتلها ايه انا معرفهوش ؟

كنت استشيط غضباً في تلك اللحظة لقد فعلت الكثير من اجلها . وتلك الوقحة لا تعلم شئ .وان قصصت عليها ربما لن تصدقني لكني لن اقف امامها دون الدفاع عن نفسي . حكيت كل شئ من البداية. بدأً من الحادث ثم ذراعي ولونها

الازرق. مروراً بغلاف الرواية الذي تحول لجريمة .والنبتة والعاصفة حتى وصلنا لقصة سارة .والغريب انها لم تقل ولا كلمة بينما كنت اسرد قصتي كانت تستمع فقط لكن بمجرد ما انتهيت اردفت

= انا غلطانة اني ضيعت وقتي معاك

-صديقيني يا هدى انا مبكدبش .بس انتي صعب تفتكري كل ده بسبب ان الواقع اتغير بسبب اخر لوحة .وأسألي عز لو مش مصدقاني

= ومين عز ده كمان؟ - صاحبي من صغري منتي عارفاه

=(ابتسمت وقالت) اخيرا لقيتلك صاحب يعبرك . ربنا يكون في عونه (قالتها بينما تقف وتستعد للرحيل) خلاصة الكلام . معنديش استعداد ان بنتي تعرف ان ابوها مجنون . انسى ان ليك بنت ياكامل وانا وحسام سهل جدا ننسيها ان ليها أب .

رحلت . كنت ساخط مما حدث . لم اكن اتوقع الكثير منها ولكن ذلك فاق الحد . كيف وصل كرهها لي لذلك المستوى . لو كانت تسطتيع ان تزيل اسمي من شهادة ميلاد سارة لفعلت. تريد ان تحرمني من ابنتي . هيهات حدوث ذلك.

ابنتي لي ومها حدث ستظل لي . لن تأتي تلك الحقيرة وتأخذها مني . وسأفعل اي شئ لأتخلص منها.

=ايوة يعني هتعمل ايه ؟

-نفس الطريقة الي لجئت ليها علشان ارجع بنتي للحياة هستخدمها علشان ارجعها لحضني .بس مش هكتفي بكدة .لازم انتقم من هدى انتقم من الي عملته فيا زمان والي عايزة تعمله دلوقتي.

=هدى أذتك كتير .أذتك من اول ما عرفتها بس انت مكنتش شايف كدة .بس ده وضح وضوح الشمس مع اول مشكلة في حياتك. اتخليت عنك كان بودي اقولك انسى بس هي اتمادت اوي. بقت واخدة على انها تأذيك وانت مفيش في ايدك حاجة .بس انت المرادي قادر ترد . فاتفضل. رد (كنت اشعر ان عز يتملكه نفس الحنق منها)

-رأيك معايا المرادي ؟! = انا على طول كنت بحاول اكون نصك الي يحفزك .يحفزك على انك تعيش سعيد وتتفائل . وانا شايف سعادتك في انك تمسك فرشتك وتبدأ.

علاقتي بعز تتخطى الصداقة أنها اقرب الى الأخوة (رغم اني اكبر منه بعامين) .وخصوصا من طرفه .اتذكر ذلك الموقف الذي لطالما يذكرني به عندما يريد ان يشيد بي . عندما كنا صغاراً نلهو في الشارع مع امثالنا من الاطفال وبدون سابق إنذار بدأ عز بالاختناق اثر ابتلاعه عمله معدنية عن طريق الخطأ . هرولت تجاهه وصفعته على ظهره بينما كان جميع من حولنا يقف ويشاهد . ومنذ ذلك الوقت تطورت علاقتنا الى ما هو عليه .

في المساء بينما اصبحت بمفردي. جلست وفي يدي اليمنى الفرشاة ولون ذراعي الازرق يتأهب .افكر كيف يمكن ان افعل ما انا بصدده ؟ كانت ليلة طويلة من العمل والتفكير والألم الذي اعتدت عليه .وفي الصباح بين الفراشي والالوان وبين اكياس الثلج الذائب التي كنت استخدمها للتخيف عن ذراعي كانت اللوحة مكتملة . كنت اشاهدها وابتسم . هكذا ستكون ابنتي لي هكذا سنحيا معا

هل انا محق بما فعلت؟ .كان يراودني ذلك السؤال بينما ارسم وبعدما رسمت .هل كان ذلك السبيل الوحيد .لكن كان هناك صوت في رأسي يرد على ذلك

السؤال "هدى أذتك من اول ما عرفتها وانت لا حول لك ولا قوة. ولسه مكملة في اذيتك. ده الوقت المناسب للرد" لذا لم اتوقف واكملت تلك اللوحة.

مرت عدة ايام وانا جالس بجوار الهاتف .منتظرا تلك المكالمة . المكالمة التي يخبروني فيها اني قد تخلصت من هدى للابد واني لابد ان اتي لاخذ ابنتي . ذكرني ذلك الموقف عندما كنت انتظر مكالمة يخبروني فيها انهم وجدوا جثمان صغيرتي .لكن حمداً لله ان تلك الايام قد ولت .لا اعلم كيف كنت احيا وقتها. كان تلك اسوء فترة عيشتها .قطع تلك الذكرى صوت الهاتف تعالت اصوات نبضات قلبي لابد انها المكالمة المنتظرة .

-الو ..... ايوة انا .....

اتذكر تعابير وجهي وهي تتحول لابتسامة الانتصار ثم الى تجهم الانكسار

القيت الهاتف وهرولت لرسمتي . نعم هذه هي هذه سيارة حسام زوج هدى وهي بجواره ونعم هذا هو المكان .نفس المكان الذي حدث به حادثي .من المفترض ان يقوموا بحادث مشابه للذي حدث معي ويموتا معاً .اذا لما تموت سارة معهما .

.....

اليوم هو اليوم .اليوم هو اليوم الذي بدات اكتب به ما حدث منذ البداية .اليوم هو اليوم الذي شعرت انه فقداني لسارة هو قدر محتوم . كل شئ عاد كسابقه .حتى جثمان سارة لم يجدوه .هذا ما اخبرني به من اتصل بي . عدت مرة اخرى انتظر مكالمة تخبرني انهم قد وجدوا الجثمان. وحاولت اني اعيدها لي مرات عدى. لكن لا مفر . حتى عز لم يعد يزوروني .لكن صوته دائما في رأسي .اما يدي لونها اصبح اقرب للبني منها الى الازرق . والالم اصبح كأنه وخذ. وتاثير تحقيق الرسومات اصبح ضئيلاً . لا علم من اين اتت تلك الهبة ولا اعلم لما تختفي . ولكن قبل ان تختفي حاولت محاولتي الاخيرة لأجتمع مرة اخرة مع ابنتي .تلك اللوحة التي انهيتها قبل ان ابدا بالكتابة . اللوحة التي اجتمع فيها مع ابنتي في عالم خالي من الشر. اجتمع بها في ذلك المكان الواسع في المكان الذي سنكون فيه سوياً والى الابد .حيث لا عين رأت ولا اذن سمعت . سألتقي بكي قريبا يا صغيرتي سألتقي بكي اسرع مما اتوقع.

الترحال

دائما ما رأيت الكثير وسمعت اكثر. فهواية شبابي حتمت علي هذا . والان بعد مرور كل هذه السنوات .اجد نفسي في حاجة لسرد بعضا من هذا .اريد ان احكي لأحد عن اغرب شئ حدث لي .لكني لا املك احد في حياتي .فأطفالي اصبحوا رجالا ونساء متزوجين .لا تتاح لي فرصة رؤيتهم الا كل فترة عندما يأتون لزيارتي ليطمئنوا علي او ليأخذوا بعض الاموال .وزوجتي قد فارقتني .تركتني وحيدا في الدنيا .لم يكن لي صاحب او صديق او احدا ليهتم بي الا هي .لكني الان بخير اعتدت على الحياة بمفردي .فقد مضى اكثر من عام على شعور الوحدة . لذلك اردت ان اكتب احد اغرب ذكراياتي التي لم احكها لاحد ابدا.

دفنتها بداخلي.لكن لا اريدها ان تدفن معي في قبري . لذا سأكتبها قد يقرأها احد لكني لن اذكر اي اسماء او اماكن. رغم انه من الممكن ان معظم من سأقوم بذكرهم قد ماتوا .لكن هكذا افضل .منذ حوالي 40 عام او اكثر بقليل .اعتدت في منتصف يوليو بمجرد انتهائي من الامتحانات في كليتي ان ابدأ ما كنت اسميه بالترحال .اتنقل من مدينة للاخرى ومن قرية للاخرى وابيت هناك ما لا يزيد عن اسبوعين .اتفقد عاداتهم وتقاليدهم .قد تقول ما هذا الهراء الذي كان يقوم به هذا العجوز .اعتقد انك محق بعض الشئ. لكني بحق قد استفدت كثيرا. واكثر شئ استفدت به هو التعامل مع مختلف البشر. وعرفت الكثير والكثير عن طبائعهم اصبحت اعرف شخصية الماثل امامي بمجرد ان يبدأ بالحديث . لنبدأ في سرد تلك الذكرى . كان ذلك كما قلت منذا اكثر من 40 عام عندما وطئت قدمي تلك القرية والتي تبدأ بالاحرف التالية (ك .ع) . منذ وصولي محطة القطار والى ان دلفت من سلمها وخرجت الى الشارع الرئيسي لم تفارق انفي رائحة العفن. كجثة فأر ميت لا بل المئات منها . عندما وصلت للشارع الرئيسي ازلت من على وجهي ذلك المنديل الذي وضعته لاخفف الرائحة . وبدات الوح به لزميل الدراسة (س.ج) .كان (س.ج) يدرس معي في نفس الكلية وعندما عرف

بالترحال الذي اقوم به عرض علي ان اتي لأزور قريته واكمل عرضه بأن اقيم في بيته طوال فترة الزيارة.لكني لم اكن احبذ ذلك. كنت احب ان اعيش وحدي عندما ازور اي مكان .اخرج وقتما اريد. واعود وقتما اشاء. لذا قام (س.ج) بتأجير غرفة لي وقمت بارسال له ايجار شهر مقدما . واعرف تمام المعرفة ان اقامتي هناك لن تصل لتلك المدة .لم يخطر ببالي لما (س.ج) يعرض علي تلك الزيارة . ظننت انه يريد ان يستضيفني .لكن بمجرد ان بدا الكلام معي بعدما قابلته امام المحطة .علمت انا الامر ليس كذلك عندما قال لي

=القرية هنا مش زي اي قرية. هنا لاغيين دماغهم. انا يعتبر ربيت نفسي بنفسي اهتميت بدراستي رغم ان ابويا وامي مكنوش مهتمين باهتمامي من عدمه . حافظت على صلاتي رغم الي بيصلي هنا بيتعدوا على صوابع الايد .لو كنت فاكر انك شفت تقاليد غريبة في اي مكان زورته . احب اقولك انت لسه مشفتش حاجة

– قصدك ايه ؟ وضحلي اكتر .

= انت لسه واصل واكيد تعبان من السفر والحر. هوصلك للمكان الي اجرتهولك تنام شوية ونكمل كلامنا بليل عالقهوة .

لقد كان محقا تمام فالاجواء الصيفية لا يوجد اشد منها ومن حراراتها. اوصلني للغرفة واطمئن اني ساتولى امري قبل ان يرحل . كانت غرفة فوق سطح منزل مكون من طابقين . نصف السطح كان الغرفة والنصف الاخر خلاء يحوطه سور ارتفاعه لا يتعدى المتر ونصف. الغرفة لم تكن صغيرة .بها سرير ضئيل ودولاب يكفي ملابسي واكثر. وطاولة خشبية وباجور جاز وكرسي يشبه كراسي المقاهي وحمداً لله كان يوجد صنبور مياه على يسار الباب من الخارج لكن بدون حوض. منه للارض مباشرة . لم يكن ذلك سيئا بالنسبة لي فقد مكثت في اماكن اصعب من تلك .بمجرد رحيل (س ج) قمت بتوضيب الغرفة سريعا حيث انها لم تكن مليئة بالاتربة يبدوا ان اصحاب المكان قد نظفوه قبل مجيئي .ومن ثم وضعت ملابسي في الدولاب . واستسلمت للنوم الذي حل علي نتيجة التعب .

في المساء استيقظت على صوت طرقات للباب وصوت (س .ج) يتحدث في الخارج مع احدا .فتحت لهما لأجد معه شخصاً اخر في مثل عمرنا تقريبا قدمه لي على انه (ا . ك)صديقه من ايام الطفولة وتربى ودرس معه . قالا لي انه سينتظراني في المقهى بجوار المنزل وتركاني حتى استعد .بعد حوال 10 دقائق لحقت بهم الى المقهى وجلست معهم . وبدأ الحديث يأخذنا في طريقه ونحن

ننساق خلفه .الى ان وصلنا للنقطة التي ارادوا الحديث فيها منذ البداية. او النقطة التي دعاني بسببها من الاساس . حين قال (س.ج)

= الناس هنا صعب التعامل معاهم .معتقدش انك رحت مكان زي قريتنا قبل كدة

فاردفت بعده – صحيح انت قولتلي انها ان حياة الناس هنا غريبة او تقاليدهم غريبة بس موضحتليش قصدك .

نظر كلا منهم لبعضهم ثم اردف (ا.ك)بصوت منخفض لن تسمعه الا اذا اقتربت منه --الناس هنا 80٪ منهم مؤمنين تمام الايمان بالدجل والشعوذة .الجوامع شبه فاضية .حتى الكنيسة . رمضان لما بيهل بيبقى كأنه يوم عادي لا في احتفالات ولا زينة ولاحتى صيام..... قاطعه (س.ج)

= ده حتى لو انت بتصلي بيتبصلك كأنك منبوذ .

–طب ليه محدش من شيوخ الجوامع بيحاول مع الناس دي .وليه من الاساس هما بعاد عن الدين بالشكل الفج ده .

نظر (س.ج) يمينه ويساره ليتاكد ان احدا لا يستمع الى ما سيقوله

= المبروك .ده الشيخ الوحيد الي بيسمعوا كلامه . هو لا شيخ ولا حاجة هو مجرد دجال نصاب بيتبع اساليب رخيصة علشان يخليهم يأمنوا بالدجل بتاعه . هو بالنسبلهم الشخص الوحيد القريب من ربنا .مبروك. واصل. مكشوف عنه الحجاب منه للاله على طول لو رضي عنك فخلاص ربنا راضي عنك . شافي الامراض . حلال العقد. كاشف الاسرار . ينتقملك من الي بيأذيك . ويأذيلك الي كارهه .حبة حبة الناس نسيت ربنا .وبقوا بيطلبوا رضاه علشان يساعدهم في الرزق .علشان يرزقهم بالمولود . بقى هو اله القرية .

-طب ازاي قدر يعمل كل ده ؟ازاي زود شعبيته كدة ؟ مهو اكيد كل ده كلام فاضي لكن ازاي كل العدد ده من البشر تصدق واحد زي ده . حتى لو نصاب فطبيعي ان الي يأمن بيه 20٪ من اهل القرية مش العكس .

استرسل (ا.ك) بنفس طبقة الصوت المنخفضة

--عمل كذا معجزة حاجات عجز عنها دكاترة وبوليس واهل علم . من وجهة نظر الناس. في حاجات فعلا احنا مش عارفين عملها ازاي لكن احنا بالتأكيد متاكدين انه نصاب

-زي ايه يعني فهموني اكتر ؟

وبدأوا بعدها يقصوا علي تلك المعجزات

= في يوم صحينا على خبر البت الي لقوها مقتولة جنب الترعة الحكومة جت وبدأو يحققوا في الي حصل عرفنا بعد كدة انه حد اغتصبها وبعد كدة قتلها ورماها هناك .والبوليس مقدرش يوصل للي قتلها نهائيا .ولما اهلها فقدوا الامل .راحوا للمبروك .امر وقتها ان ابوها وامها وكل اخوتها يتجمعوا عنده و يجيبوا معاهم حتة من هدومها وبعد نص ساعة بس كشفلهم مين الي عمل كدة. اهل البت جابوا الواد . وبعد ما اتضرب وخد على دماغه .اعترف بالي عمله انه اغتصابها في العشة بتاعته وماتت في ايده فقرر ان يدفنها جنب الترعة ولما حس ان حد ممكن يشوفه رماها وجري . طبعا ابوها مسماش عليه ودبحه .قبضوا على ابوها بعد كدة واتشنق بس من وجهة نظره ونظر مراته وولاده انه كدة قدر يرفع راسه تاني وسط الناس .

قاطعت (س.ج) –طب هو الواد اعترف فعلا . يعني اعترف قدام الناس كلها ولا بينه وبين الشيخ وابو البت

=قصدك انه ممكن يكون معترفش

-انا شايف كدة. واكيج طبعا ابو البت خد الكلام من المبروك وبصم عليه بالعشرة وراح خلص على الواد من غير ما يفكر

اردف (ا.ك) بأعين متلئلئة

-- تصدق صح .خصوصا ان الواد الي قال عليه ده كان اصلا واد صايع

-كمان! يعني اختار واحد ابو البت مجرد ما يسمع اسمه يصدق انه ممكن يعمل كدة .الراجل ده ذكي جدا .طب عمل ايه تاني احكوا احكوا .

قص (ا.ك) هذه المرة موجهاً كلامه ل (س.ج)

--فاكر الست (ع) الي كانت مبتخلفش هي وجوزها

=اااه . دي كانت اول واحدة مبتخلفش يعالجها قبل ما كل الستات تروحله ويعالجهم من العقم

-دي حكايتها ايه دي

--دي قعدت هي وجوزها 15 سنة من غير خلفة وراحتله من اول مرة حملت وجابت ولد كمان

– ما يمكن والعياذ بالله هو الي نام معاها .بعد ما خدرها يعني .انا مبتهمهاش هي بحاجة . ممكن يكون جوزها الي كان عقيم .

= والله احنا شاكين في كدة بس منقدرش نقولها حتى لنفسنا . دي اعراض . بس اللغز الكبير بقى الواد (ح) عيل مكملش 9 سنين. وقع من شباك بيتهم وهو عنده 7 سنين .واتشل بسببها بس بمجرد ما امه راحت للشيخ وقعد مع الواد ساعتين الواد خرج من عنده بيجري

بدأت افرك فروة رأسي.

–طب مايمكن امه والواد متفقين مع المبروك علشان يعملوا حوار

––لا انا معتقدش انا عارف الواد ده وابوه وامه وكنت معاهم وهما بيعلجوا الواد والدكاترة معرفوش يعالجوه وهو من مرة واحدة عالجه

ساد الصمت لحظات حاولت فيهم ان اجد حل لهذا قبل ان اتفوه

–اكيد في حاجة غلط في حكايتكم بس مش مهم .المهم احنا لازم نلاقي طريقة نفتح عيون الناس ونعرفهم ان المبروك ده نكرة ونصاب

ابتسم (س.ج) واسترسل

= علشان كدة دعيتك تيجي هنا . علشان عارف انك هتحب تغير الي بيحصل ده وعندك قدرة على كدة .

في اليوم التالي وقت صلاة الظهرقابلت (س.ج) و (ا.ك) امام مسجد القرية . عندما سردوا لي ان المسجد يكون شبه فارغ ظننت انهم يبالغون لكن بالفعل المسجد كان به ما لا يتعدى 8 اشخاص مع العلم انه المسجد الوحيد بالقرية . في ليلة امس كنت اظن انهم يبالغون لكني الان اصدق كل حرف قالوه لي .بعد تأديتنا لصلاة الظهر اجتمع ثلاثتنا مع إمام المسجد الشيخ (ص). عرفته بنفسي وهو بالفعل كان يعرف (س.ج) و (ا.ك) .واسترسلت معه في الحديث عن المبروك واكد لي عن كل ما حُكي سلفا .

-طب يا شيخ (ص) . مش المفروض انك كإمام المسجد .توعيهم ان الي هما فيه ده جهل ونصب من واحد محتال

= وتفتكر يابني اني سكتت .منا اتكلمت معاهم لحد مانفسي اتقطع . وقولتلهم حتى لو كان بيستعمل السحر فعلا . السحر ده فتنة والانسياق وراه شئ محرم .لكن هما ودن من طين وودن من عجين. لا عايزين يصدقوا انه نصاب .ولا هاممهم الحلال والحرام . ياما حاولت لحد ما اضطريت اسكتت.

-وايه الي سكتك

= هو ورجلته هددوني بأهلي . ووز اهل البلد عليا لدرجة انهم كانوا جايين يولعوا في بيتي . لحد ما هو جه وخلاهم يرجعوا مقابل اني هسيبه يخدم البلد وينشر بركته فيها . بيني وبينكوا . انا اليومين دول بحاول ابيع ارضي هنا واشتري ارض وبيت في بلد تانية .انا فقدت الامل في الناس هنا .

ابتسمت – لا انت لو مشيت يبقى هو الي انتصر . احنا هنساعدك وهنخلي الناس تفوق من سيطرتهم لو هو بيهددكوا باهلكوا فانا غريب . ولو بيهددكوا بأذيتكم فانا مبخفش

التفت الي (ا.ك) --ومش هتبقى لوحدك احنا معاك . مش هنسكت المرادي .خلاص لازم نخلص القرية منه .

في المساء بعد صلاة العشاء اجتمعنا في المقهى . وبدأنا نتحدث بصوت مرتفع نسبيا عن المبروك واسب فيه لنلفت انتباه الناس الينا .الى ان حدث ما كنت في انتظاره. عندما وجه احد الجالسين كلامه لي وكان رجلا في عقده الخامس وقال.

= انت مين يبني.انا قاعد سامعك من بدري ومش عايز اتكلم .وعمال تشتم في المبروك ليه انت عارف ده عمل ايه وبيعمل ايه ؟

كانت تلك اللحظة لتفريغ الشحن الذي كنت أُشحن به منذ امس

-هو ايه الي بيعمل ايه . واحد نصاب حرامي دجال واكل عقل البلد .فتحوا عنيكوا ارجعوا لدينكوا . الي انتوا فيه ده كفر بالله . انتوا مشيين ورا واحد دنس .

تعالت الاصوات من حولي بين مؤيد كان يخشى ان يتكلم والان تشجع .وبين معارض .معارض بشدة ويرى ان المبروك لا يمس .حتى ولو باللفظ .وكان

معظمهم معارضين .وعندما بدا (س.ج) و (ا.ك) في الوقوف في صفي بدأوا يلومهم

= طب ده غريب .ميعرفش حاجة .مشفش المعجزات الي المبروك عملها .لكن انتوا من اهل البلد عيشتوا كل حاجة كانت بتحصل.الجن الي بيحضره وبيكلمنا . الناس الي ساعدها. هتنكروا المعجزات دي ازاي . هتنكروا جبروته وقوته ازاي .

كان (س.ج) على وشك ان يرد عليه لكني قاطعته ورددت نيابة عنه .

-مساعدات ومعجزات ايه البت الي اكتشف مين قتلها ولا الواد الي شفاه من المرض .

ثم بدات اعرض تحليلي لهذه المعجزات لكني لم ارد ان احلل معجزة علاجه للعقيمات . وحده الله يعلم ما كان سيصيبني ان قولت ان اولادهم ليسوا من صلبهم .اعتقد اني كنت لأُقتل وقتها . بعد ان انتهيت من تحليلي لم يتغير رأيهم. بل بدأ بعضهم يتهمني بالكفر . ومنهم من بدا يتهم اصدقائي بنفس الاتهام

= اسمع يلا انت وهو احنا لينا كلام تاني مع اهلكوا لكن صاحبكم ده ميفتحش بقه تاني بدل ميشوف مننا الوش التاني احنا مستحملينه بس علشان ضيف بس لو معدلش لسانه وهو بيتكلم عن اسياده ميلومش الا نفسه

وضع (س.ج) يده على كتفي فيما معناه فليكفي هذا الان.لم ارد ان ازيد في الحديث فالاجواء اصبحت محتدة .

في اليوم التالي تقابلنا على المقهى وبدأ بعض الشباب في التجمع حولي والاستماع لي وانا احاول كشف الغمامة من على اعينهم .بينما معظم المحيطين بي يرمقوني بأعين تملئها الحقد . استمر هذه ليومين اخرين قبل ان افاجئ في احد الايام بأربعة رجال قادمين وفي يدهم عصي ضخمة .

= قوم يلا انت وهو من هنا. روحوا لامكوا تغيرلكوا الكفولة

قالها من تبين لي انه زعيمهم بينما عينه لم تتجه لاحد غيري . شرع بعدها بعض بل كل من تجمع حولي بأستثناء الاثنين الذي رافقاني منذ البداية بالابتسام بشماتة . ثم تابع حديثه

= وانت يلا. ضيافتك خلصت عندنا. وانت بقى ضيف تقيل محدش في البلد كلها طايقك. فمعاك لبكرة بعد غروب الشمس.بعدها مش عايز المح ضلك في البلد.والا .ثم لوح بعصاه قاصدا الطاولة التي امامنا فطارت ومعها ما كنا نشربه .ثم انصرف.

في غرفتي بعد حوالي ساعة مما حدث بالاسفل كنت ومعي (س.ج)و (أ.ك) نحاول ان نجد طريقة اخيرة لنفضح ذلك الدجال.لم يعد امامنا الكثير كل ما نملكه لم يكن يتعدى ال 24 ساعة .

= للاسف الناس دي معندهاش رحمة انت لو ممشيتش قبل المغرب زي مقاله .ممكن ميطلعش عليك نهار . قالها (س.ج) بينما كان يجلس على الكرسي و (ا.ك) يجلس على حافة السرير .وانا اتمشى من اليمين لليسار ككرة البنج بونج التي تتأرجح بين مضربين .

-انت كدة المفروض بتطمني يعني . انا قبل ما امشي لازم الاقي حل .انا مش هخسر من واحد دجال زي ده ابدا .

= طب ناوي على ايه فهمنا

-الي ناوي عليه مش هينفع من غيركوا لسه معايا.

نظر كل منها للاخر قبل ان يتفوه (أ.ك) .

--احنا قولنالك من الاول احنا معاك في اي حاجة .

- حتى لو هندخل عرين الاسد

=قصدك بيت المبروك ؟

هززت رأسي من اعلى لاسفل .ليسود الصمت عدة ثواني كلا منا ينظر للاخر وكأنه يقول هذا جنون .قطع (أ.ك) الصمت

--طب هندخل نعمل ايه ؟

-احنا معناش وقت. بالتأكيد الكلام وقته خلص .مش هقدر في كام ساعة اخلي الناس تنقلب على المبروك . علشان كدة لازم ناخد خطوة.

-- برضو مقولتش هنعمل ايه ؟

- عدة النصب بتاعته. اكيد هنلاقي عنده حاجات من الي بيستخدمها علشان يضحك على الناس زي الجن الي بيحضره وبيكلم الناس مثلا . هنلاقي هناك

تفسير لكل حاجة. ولما نعرض كل ده قدام الناس وقتها هيصدقونا او عالاقل المعظم هيصدق والباقي هيشك فيه . وقتها هتبدأ مرحلة انهيار اكذوبة المبروك .

لم يكن امام (س.ج) و(أ.ك) خياراً الا الموافقة فهذه اخر فرصة لنا .

ذهب كلا منهم الى بيته لينام حتى موعد تجمعنا وايضا حتى لا يثيروا شك اهلهم . وقبل اذان الفجر بساعتين اجتمعنا اسفل منزلي. كان كل اهل القرية نيام . لم تكن ليلة قمرية لذا الظلام كان يخيم فوقنا ويحيط بنا من كل اتجاه .كنت اعلم لذلك جلبت معي كشافين خافتين لا يجذبون الانظار. واخذنا طرق مختصرة خلال الحقول .كانت الاجواء مخيفة الى حد ما فاصوات الكلاب تعوي من حولنا . صوت اشياء لا نعرف مصدرها تصطدم بمياه الترع .الى ان تسللت رائحة العفن التي شممتها اول مرة حين هبطت من القطار فور وصولي

-هي ريحة ايه دي ؟ ليرد علي(س.ج)

= الريحة دي موجودة هنا على طول ومش عارفين مصدرها

-انا شميت نفس الريحة اول يوم وصلت فيه عند المحطة

=اه ما احنا دلوقتي عند المحطة وبيت المبروك بعد المحطة على طول

اكملنا طريقنا الى بيت المبروك .وكلما اقترابنا كلما ازدادت الرائحة .واخيرا وصلنا الى بيته.رغم الظلام الدامس الا اني رأيت بعض تفاصل المنزل الخارجية حيث كان بيت على الطراز القديم مبني من الطين والخشب والحجارة ابوابه وشبابيكه خشبية متهالكة فكان من السهل كسرها او فتحها والدخول من خلالها .لكن من كان يجرء من الاقتراب من منزل المبروك ليلا . كانا من معي يعرفون اين شباك غرفة نومه لذا ابتعدنا عنه واقتربنا من شباك مدخل البيت . فتحناه وقفذنا منه واحداً تلو الاخر . المكان من الداخل اشد ظلمة .رائحة العفن كانت في أشد صورها اخذت احد الكشافان واعطيت الاخر لصديقاي وبتنا نبحث حولنا دون عمل جلبة . وجدت في البداية بعض الجماجم والتماثيل التي يستخدمهم كديكور لأرهاب زبائنه .يا لها من حيل رخيصة . وجد (أ.ك) بعض قطع القماش الملطخة بالدماء كل هذا لم يكن مهما حتى وجدت بعض الكتب الموضوعة داخل احدى الاوعية الكرتونية .كلا منا اخذ كتابا وبدأ يفحصه . الكتاب الذي استحوذت عليه كان مليئا بالرموز الغريبة وكلمات لم اسطتع قراتها كأنها بالعربية لكنها ليست كذلك . رسومات لأوجه مخيفة .لم احاول ان اعرف

ما الذي دُون في كتب (س.ج)و(أ.ك) لكن الملامح التي كانت تعتلي وجههم كانت توحي ان الامر لم يكن مختلف .

قطع صمتنا (أ.ك) بصوت خافت

--ايه الي مكتوب ده ؟ انا مش فاهم حاجة

- الكتب دي يقال انها كتب سحر. شمس المعارف الصغرى .سحر بارنوخ .ومنبع اصول الحكمة (قلتها مع ابتسامة ساخرة) الكتب دي عتيقة .بس اي كلام هو جايبها يعمل بيها منظر وخلاص قدام الناس

نظرت الى (س.ج) والذي كان مرتعب من هول ما يراه في الكتب. ثم اردف كأنه لم يستمع لما قلته.

=هو طلع بجد ! طلع بجد !

لكن (ا.ك) كان لايزال بقوته العقلية

--هو ايه الي بجد انت صدقت؟ .عايز تفهمني ان واحد زي ده هيعرف يتعامل مع الكتب دي

كنت اسمع اصوات انفاس (س.ج) المتتالية وارى وجه المتجهم

=ما يمكن بجد . ده مخزنهم مش عارضهم للديكور. فرد عليه (ا.ك)

--فلنفرض انه حقيقي .هي مشكلتنا ان الي بيعمله ده حقيقي من عدمه ولا الجهل الي يبينشره

اردفت بعده

-يجماعة انتوا بتتكلموا ان الكتب دي بجد وبتستخدم في التحضير الجن وكدة .ده اي كلام .كلام بيضحك بيه على الناس

=ايوة بس انا كنت فاكره نصاب

هنا استشاط (ا.ك) غضبا

--هو الكتب دي هتخليك تخاف ولا ايه .طب اهو .

واخذ يقطع في الكتاب الذي في يده . قبل ان يحاول (س.ج) ايقافه وقبل ان اشرع في مساعدته في تقطيعهم .امتدت يد نحيفة وسحبت الكتاب من يد (ا.ك) .لننظر في اتجاه اليد .لنجد شخص نحيفا وطويل بعض الشئ .رفعنا اضائة الكشافات في ووجهه لنرى كامل وجهه النحيل طويل الشعر حليق الليحة

*انتوا مين وايه الي انتوا عملتوه ده ؟

لم نحاول الرد او نفكر في تبرير كل ما خطر ببالنا وقتها ان نجد اتجاه الشباك الذي دلفنا منه وقفزنا منه واحدا تلو الاخر .بعد ان خرجت واستعد للركض وجهت الكشاف للشباك لاجد ذلك الشخص يقف وينظر الينا دون حراك .لم نقف لثانية وشرعنا بالهرب .

ركضنا باقصى سرعة لدينا لم يحاول ايا منا ان ينظر خلفه مرة اخرى .بعد ان ركضنا تقريبا ما يساوي الكيلومتر لاحظت ان صوت خطوات (أ.ك) الذي كان خلفي مباشرةً قد اختفت .نظرت خلفي موجها الكشاف لاتفقده لأجده منحنياً ووضعا يده على صدره ناديت عليه لم يستجيب. وبعدها سقط على الارض هرولت تجاهه بينما انادي على (س.ج) ليأتي يتفقده معي . حاولت ايقاظه لكنه لم يكن يستجيب لي . ادرت وجهي تجاه (س.ج)لاجده واقفا مكانه لا يتحرك .كررت ندائي مرة اخرى وتابعت

-تعالى بسرعة اسنده معايا

افاق وقتها مما كان يخيم عليه وهرول تجاهي وحاول افاقته هو الاخر واستمر فقدانه للوعي . اسندناه على كتفينا وتحركنا به الى ان وصلنا الى سكن طبيب القرية

والذي كان عيادته .بمجرد ان فتح لنا ادخلنا (أ.ك) دون ان نقول كلمة .

--حيلكم حيلكم هو في ايه ؟.قالها الطبيب بينما نُدخل (أ.ك) ونضعه على السرير

- الحقنا يادكتور وقع مرة واحدة ومش عارفين ايه الي حصل

احضر الطبيب سماعته من على طاولة خشبية بجوار الباب واتجه الى (أ.ك)

--طب هو ايه الي حصل وقع ازاي وليه

قبل ان افكر في حجة انفتح (س.ج) في الكلام والقى كل ما بجعبته

= وقع لما كنا بنجري علشان نهرب من بيت المبروك .

لم يهتم الطبيب بأياً مماقاله صديقي الا كلمة

--بتجروا ؟.تجروا ازاي انتوا متعرفوش ان عنده تضخم في القلب ومينفعش يبزل مجهود زي ده .

انتهى مما قاله ووضع السماعة على قلبه .ثم وضع يده على رقبته ليقيس النبض .ولم يكتفي بذلك فاحضر كشافا صغيرا وفتح اعينه بيديه ووجه اليهم الكشاف

--لا حول ولاقوة الا بالله .البقاء لله

تجمدت في مكاني اثر سماع تلك الكلمات بت انظر للطبيب ثم انظر ل (س.ج) الذي بدأت اعينه تذرف بالدموع . ظللت في حالة الذهول تلك بيما يقول الطبيب

--لازم نبلغ اهله علشان يستلموه عقبال ما اجهز التقرير

رد عليه (س.ج) وهو يُجمع كلامته بصعوبة

= انا هبلغ اهله .هبلغهم بكل حاجة

في تلك اللحظة رفع اذان الفجر .كانت ليلة طويلة .

عدت لغرفتي ولم اخرج منها .لم اكن اريد ان ارى امه وهي تحترق بكاءاً عليه . وغير ذلك كان يسيطر علي شعور الخوف فذلك الفتى قد ارتقت روحه الى بارئها وهو بين يدي .لم اقدر على الخروج حتى من باب الغرفة .ولم ترحب عيني بفكرة النوم . ظللت هكذا حتى حانت صلاة الظهر ووقتها ولأول مرة كان امام المسجد مقتظ . يبدوا انهم لا يعرفون طريق المسجد الا وقت صلاة الجنازة فقط كواجب تجاه المتوفي ليس الا . لكن حيمنا اقتربت من المسجد استنتجت ما الذي يحدث. انهم ينتظروني . حشد يتعتدى ال عشرة رجال يتقدمهم والد المتوفي .خطوت في اتجاهه لأقدم له واجب العزاء .لكن قبل ان تتفارق شفتاي باغتني بحديثه .

= دم ابني في رقبتك . ودمك مباح بالنسبالي . الي المفروض يحصل دلوقتي اني اجيب منجل واجز بيه رقبتك

تسمرت مكاني وانا لا افهم ما الذي يحدث

-هو في ايه ؟ دم ابنك ايه الي في رقبتي .دانا حاولت انقذه ووديته للدكتور انا و(س.ج) ودلوقتي..... لكنه قطع تسلسل كلماتي

=بالظبط كدة (س.ج) . (س.ج) قالنا على كل حاجة قالنا انكوا اتسحبتوا لبيت شيخنا المبروك وانك وزيته انه يقطع كتب مولانا . ولعنة الكتب محليتهوش .قبل ما يخطي بعيد عنهم حراس الكتب جابوا اجله .

كانت الدموع تملئ عينه وبدات بالتساقط دون ارادته . حاولت ان اتكلم معه بشئ من العقلانية

-ياحج اسمعني .على حسب كلام الدكتور ابنك كان مريض بقلبه . سيبك من الجهل الي ماسكك ده واترحم على ابنك

انفعل ذلك الرجل والذي كان ضخم البنية بكفين اكبر من وجهي .وامسكني من ملابسي .حاول من كان حوله ان يسيطروا عن الوضع ويفلتوني من يديه

وبينما يفلتوني سمعته يقول

=لولا اوامر مولانا كنت دبحتك . وظل يكررها مرارا وتكرارا .بمجرد افلاتي منه هرولت الى حيث اقطن . وبدات في جمع اغراضي . انتهى الامر .لا استطيع

البقاء هنا اكثر من ذلك .رجال المبروك .اهل القرية ووالد (ا.ك) .ان بقيت اكثر لا اعلم ما الذي سيحدث لي . قبل وصول القطار الى المحطة بثلاثون دقيقة كنت انتظره هناك. وبينما انتظر خطر ببالي بما اني قريب لما لا اذهب الى المبروك لالتقي به ولو لمرة .فالمرة السابقة كانت في الظلام .لم اراه ولم يرني . مشيت وراء رائحة العفن وحقائبي في يدي الى ان وصلت الى منزله . وفي ساحة منزله الزبائن تصتف يمينا ويسارا وبينمهم كان من لم اتوقع . (س.ج) جالسا وبجواره ابيه .يدير وجهه بعيدا عني. يضعه في الارض حيث ستكون راسه كالنعام .ارتسمت على وجهي ابتسامة سخرية لااردية واكملت طريقي الى باب المنزل حيث يجلس الشخص الذي اتى الى المقهى وهددنا يبدوا انه مساعده او خادمه. ايا كان . بللت شفتيي واسترسلت

-انا عايز اقابله

ابتسم خادمه

--امشي يبني من هنا المبروك مبيقابلش عيال .امشي احسنلك

- يعم انت مالك. ادخل قله اني عايز اقابله

رفع صوته وتابع -- قولتك امشي من هنا احسنلك .

وفجأه نداه صوت غليظ من الداخل فتركني ودخل وعندما خرج اخبرني

--اتفضل المبروك عايز يقابلك . قالها بوجها عبوث

دلفت من الباب واغلقه خادمه خلفي لاجد باحة المنزل خافتة الاضائة وأشلاء الكتب الممزقة لا تزال ملقاة حيث تركناها فجر اليوم . وفي الجانب الاخر يجلس ذلك الملقب بالمبروك طويل القامة. جسد ليس بالنحيل بملابس ريفية عادية .حليق اللحية. وشعر ابيض قصير. وامامه رجل كان على وشك الرحيل سار باتجاه الباب وهو ينظر لي بأشمئزاز . اصبحت انا الشخص النحس جالب الغم لاهل القرية .خرج الرجل واغلق الباب من خلفه ليشير لي الملعون وهو يقول

= تعالى اقعد يبني

اقتربت من دون ان اتفوهه بكلمة ووضعت حقائبي بجوار الكرسي قبل ان اجلس ثم استرسل

= اهلا بيك .سمعت عنك كتير .خير عايز ايه ؟ قال ما بجعبته بوجه مبتسم

بلعت ريقي وابتسمت بسخرية

-اتمنى تكون سمعت خير

= لا للاسف مش خير. سمعت تشكيك في قدرتي . سمعت تقليل مني . وشفت قلة ادب ودخول بيوت الناس من غير استأذان . المهم .عايز ايه ؟

-جاي اقولك ان الموضوع لسه مخلصش .انت منتصرتش عليا . شغل النصب بتاعك الي بتضحك بيه على الغلابة ده لازم ينكشف .وهيكون على ايدي .انا همشي دلوقتي بس هرجع تاني ووقتها هتكون نهايتك .

ابتسم حتى ظهر السن الفضي بين الاسنان العاج.

= انت مش خايف يحصلك زي ماحصل لصاحبك ؟ صاحبك الي مات بسببك

-لا هو انت فاكرني صدقت ان انت وكتبك دي السبب ولا ايه . (ا.ك) كان عنده تضخم في القلب والجري كان غلط عليه

= فلنفرض انك صح .ده ميمنعش انك كنت السبب في موته برضو .

لم اعرف بما علي انا ارد على ما قاله. قد يكون محقا .لولا اني اقحمت (أ.ك) في ذلك لربما كان على قيد الحياة الان .لكنه لم يعطني فرصة للرد واكمل حديثه . بينما ينهض من على كرسيه

= سمعت انك عرفت عن البت الي لقوها مقتولة جنب الترعة وانا قدرت اجيب الي قتلها وانت قولت وقتها ان مكنش في دليل على القاتل (اقترب مني ودار حول الكرسي ووقف خلفي) وانه كان شخص برئ وابو البت قتله من غير ما يعترف.

ألتفت له برأسي وقبل ان ابدأ بعرض تحليلي قاطعني.

= اسمعني للأخر خلي عندك صبر . وسعت برضو عن الستات الي عالجتها من العقم وقولت لصحابك اني نمت معاهم بعد ما خدرتهم . انت افتريت عليا اوي (ثم وضع يديه على كتفي) هنقول ان كلامك ده صح بس انت ملقتش تحليل مقنع للواد الي عالجته من الشلل .دلوقتي هتعرف

ضغط بيديه بقوة على كتفي وبدأ يتمتم بكلمات غير مفهومة .حاولت ان افلت منه لكني لم استطع. بدا يتملكني شعور بتخدير يصعد من قدمي حتى وصل لسائر جسدي .عندها تركني وعاد وجلس مكانه .لم اكن اقوى على تحريك

انامليي .لم اقدر على غلق فكي او تحريك لساني.سال لعابي خارج فمي رغم عن ارادتي .لم اقوى على التحكم على شئ الا حنجرتي .دخلت في نوبة هلع وبدات أصدر صرخات هيسترية . وهو جالسا امامي لا يبالي

= بنفس الطريقة الي كتفتك بيها عالجت الواد الصغير .انت لسه صغير يبني .في حاجات كتير مش فاهمها

ثم اشار بيده تجاهي وعاد يتمتم بكلامات اخرى بعدها استعدت القدرة على التحكم في جسدي حاولت الوقوف لكني سقطت ارضاً . اقترب مني وقال

= خد الشنط بتاعتك وامشي من هنا مش عايز اشوف وشك تاني .ولو رجعت. الدقيقة الي عشتها دي هتبقى سنين .

ألتفت تجاه الباب لاجده مفتوح وجميع زبائنه واقفين يشاهدون من تلقى القليل من غضب المبروك .اتكأت على الكرسي لأقف بصعوبة . امسكت حقائبي وخرجت وانا اترنح .يداي وقدماي ترتعشان. نظرات الحضور تلاحقني بينما امر من بينهم .ومنهم من لم يكتفي بالنظر واخذ يسبني شامتاً بي .لم ارد على احد لاني لم اكن في حالة او وضع يسمح بذلك .اخذت طريقي لمحطة القطار لأستقل القطار بعيدا عن ذلك المكان.

جلست في بيتي ما يقارب شهرين .لم اقترب حتى من باب البيت .كل من كان حولي لاحظ تغيري لكني لم احكي لم ابرر ولم اشرح .في تلك المدة لم اكن اعرف ما الذذي حدث .هل استخدم عقارا ما وخدرني .ام انه بالفعل يجيد التعامل بتلك الكتب . لم اكن متيقن من ذلك لكني كنت متيقن ان اهل القرية قد خالفوا دينهم من اجل ذلك الدجال . سيطر على عقولهم .امنوا به تمام الايمان .ان قال لهم القوا بنفسكم في البحر لفعلوها دون تفكير ودون السؤال عن سبب ما سيفعلوه .انتظرت بداية العام لأقابل (س.ج) واعرف اخر اخبار القرية .لكنه لم يأتي ولم اره مرة اخرى طوال حياتي .يبدوا انه قد اصبح مثله مثل باقي اهله .لم اقدر على زيارة تلك القرية مرة اخرى . او حتى البحث عنها او عن اخبارها . لا اعرف عنهم شئ لا اعرف ما مصير المبروك . ولا مصير اهل القرية .بعد تلك الحادثة عشت حياتي في البحث عن كل ما هو خارق للطبيعة. جمعت رسائل ومذكرات لأناس عاشوا لحظات مثل التي عشتها .سأترك رسالتي وسط رسائلهم .لاني اشبههم .نتشارك جمعيا اننا القينا نظرة على بُعد مخفي عن البشر. ما اطلق انا عليه. البُعد الرابع